عِبَر من عاشوراء

(مقتطفات من خطب الإمام الخميني وآية الله الخامنئي)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

كُلّ يوم عاشوراء وكُلّ أرضٍ كربلاء

"إن كلام سيّد الشهداء كلام اليوم، وحرف اليوم دائماً، اصلاح دائماً، ولقد أتى سيّد الشهداء بكلام اليوم وأعطاه لنا" سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف".

إن عاشوراء ليس واقعة بل هو ثقافة الملحمة، ثقافة الشهادة، ثقافة الصمود والمقاومة، ثقافة الولاية، ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثقافة الحب، ثقافة الايثار، ثقافة التحمّل والصبر، ثقافة البصيرة والتدبير، ثقافة التسليم لأمر الله، ثقافة الوفاء للقرآن والعترة، ثقافة العزّة والرفعة، ثقافة عدم الاهتمام بزخارف الدنيا وثقافة جميع الخيرات ومظاهر الجمال والمحبوب، ولهذا فهي خالدة، ويتعرض الذين يتربون في هكذا ثقافة ويتطبعون بالطابع والرائحة الحسينية، على طول التاريخ إلى حسد واعتداء وظلم ذوي الفكر المظلم والمستكبرين والفسّاق. وهنا تصبح كلّ الأيام عاشوراء وكل الأراضي كربلاء.

ألم يُخرج حسينيو الزمان الثورة الإسلامية من عمق ظلمات النظام البهلوي الفاسد والمناوئ للدين؟ أم يقاتل بظفر حاملو هذه الثقافة في الحرب المفروضة التي دامت

ثماني سنوات؟ ألم يصنعوا عاشوراء متكررة في كـربلاء متكـررة فأنكـسوا رؤوس أعداء الإسلام والعزّة الإسلامية والنظام الديني؟

إن عاشوراء ثقافة، ولهذه الثقافة دروس وعبر خاصة، ويدعو دائماً نداء هل مـن ناصر ينصرني لإمام المظلومين في العالم، أصحابه من النـاس البـصيرين والـواعين والصابرين والمطيعين لأمر الولاية الكثيرين.

ويمر ملبّو دعوة إمام المسلمين وسط بحر المكر والوسوسـة والـشبهة والـشعار والأنانيات، وينظرون جيّداً من خلال نافذة الزمان والمكان إلى عاشـوراء وكـربلاء، ويتزوّدون بالزاد اللازم من كربلاء تلك لكربلاء هذه وكربلاء المتكررة.

إنّ عاشوراء ساحة صفّين يدّعيان التديّن وقد تتكرر دائماً، صفّ غير مؤمن بالدّين وقد امتلأت بطونه من الأكل الحرام وهو أبرز علامة على عـدم إيمانـه، وأسـماعه صمّاء ازاء الولاية وقلوبه مفتوحة للأقوال المشؤومة للأعداء، وصفّ يقدّس الـدّين وقلوبه خاضعة لله، وجوارحه تنفذ حدود الله. ففي أي صفّ سـنكون نحـن خـلال الفتن والاختبارات الصعبة؟

عاشوراء، مواجهة بين الفكر والعمل الأصيل

وبين القلوب التي يرتع فيها الغرباء

إنّ الّذين يستمعون إلى كلّ كلام، ينفذ إلى قلوبهم مَن لا يؤمن بوحي الله والسنّة النبوية، ويضعف إيمانهم وطاعتهم بترجمة أو نظرية ويسدّون فكرهم أمام وحي الله، لقد فتحوا مراتع قلوبهم لكل بهيمة، ولذلك لا ترى أعينهم ولا تسمع آذانهم الحق. ألم يسمع المعجبون بالمصطلحات الحديث الذي يشير إلى أنّ القرآن هو معيار صحة كلام المعصوم، فإن عُرض عليه ولم يتطابق معه يضرب عرض الحائط؟ فما بالك بكلام غير المعصوم.

ألم يسمعوا أن رجلاً أغلق على نفسه باب البيت لسنين وراح يبحث في القرآن وكتب كتاباً في تناقضات القرآن وكان يفكر بنشره ويكاد يطير فرحاً بما توصّل إليه. والتقى بالإمام الصادق "عليه السلام" فأوضح له الإمام: إن من الممكن أن يكون ما فهمه من القرآن هو غير ما أراده الله تعالى.

واستيقظت نفسه بهذه الجملة التي قالها الإمام، وأدرك أن خُدع في هذه السنين الطويلة بسرور نفسه وزينة الشيطان. فقام باحراق الكتاب الذي كان يعتبره فخراً له، بنار اليقظة.

وكم كان سعيداً حيث استيقظ بهذه الجملة، هناك مَن لم تؤثر فيهم جمل مثل الخوارج وأصحاب الجمل وأصحاب القصور الخضراء في الشام وغاصبو الغدير.

إنّ الّذين فتحوا باب الاخلاص بوجه الشكوك والشبهات وقعوا دائماً في النفاق الخفي والظاهر.

وحين تفتح حدود فكر المسلمين في الشام بوجه الروح ويعجب خواص الحكم بسلوكهم وسياستهم وثقافتهم، فكيف يتوقّع الالتزام بالعقائد والتأكيد على سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"؟ لقد كان ذلك الإنسان العظيم، الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم"، بين الناس، ويعيش مثلهم، وكان المسجد دار خلافته،

ولم يكن سلوكه شبيهاً أبداً بالأمراء والزعماء في زمانه. وقد غيّر جميع التصورات حول القيادة، ولكن تلك الطريقة أصبحت مذمومة في زمن فتح الحدود! والصداقة والعقائدية! وحينما أصبحت القلوب مراتع للوحوش. إنّه يريد كبكبة وقصراً، وبيت مال مفتوح وتصرّفاً بلا محاسبة، وسياسة تقوم على الخداع وثقافة طابعها المكر، ودهاء كالذي لدى معاوية وليس لدى علي "عليه السلام"، لأن علي "عليه السلام" متعصّب لأحكام الله، ومعاوية لا يتقيد بها، وهذا ضروري للسياسة الأموية، وليس ذلك!!

ورد في التمثيل القرآن ﴿أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار﴾[1].

ان الإيمان بالوحي والاعتقاد بالتوحيد والقيام بأي عمل يجب أن تكون خالصة لله تعالى. فإن أصبحت هكذا فإنّ نتيجتها الفوز، والاّ فما أكثر الّذين قالوا: لا إله إلاّ الله، ولم يُفلحوا. وهل كان هناك خلل في كلام رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، حيث قال: قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا؟ أو الّذين لم ينكرو "اله" ولم يتخذوا الله كمالاً كي يحصلوا على الفلاح؟

ان الإمام علي "عليه السلام" الذي نهض عن صدر الخصم في ساحة القتال مع بطل العرب كي يخمد الغضب، ويقتله من أجل رضا الله تعالى، أصبح لائقاً لصفة "موحّد" واُختير لهداية الناس. لقد قبل بيان براءة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان يفكّر بأداء التكليف فقط وهو قراءة براءة الله ورسوله من المشركين، من دون أن يهمّه شيء آخر ـ لا المحافظة على النفس ولا سرور أو استياء الكفار والمشركين ـ وأصبح صالحاً أن يمسك زمام المجتمع الإسلامي.

انّ الّذين وقفوا بوجه ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، فتحوا حدود قلوبهم بوجه كلّ بهيمة، ولذلك لم يدخل الكلام الحق للحسين "صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة يوسف: ٣٩.

وسلم" وأصحابه في قلوبهم ولم تر عيونهم الحسين "عليه السلام" على كتف النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

لقد ضحّوا مراراً بطاعة الله ورسوله من أجل مصالح قومية وأقليمية وعالمية، وفي ذلك اليوم ضحّوا بحجة الله من اجل رغباتهم.

ولم يلتزموا مراراً بمعيار تقييم الحق والباطل، وفي ذلك اليوم كان معيارهم أمر يزيد.

لقد استقبلوا سابقاً الغاصبين وذوي الفكر المنحرف وذوي الفكر السيء على منبر رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي ذلك اليوم اعتبروا يزيداً أمير المؤمنين وحكمه حكم الله!!

إنّ الاخلاص إذا ذهب، جاء النفاق. وإذا ذهب التأكيد على الأحكام الإلهيّة، حلت محلها أحكام الغير. وحين يذهب الحاكم العادل والمتقي، يتولى الأمر حاكم ظالم وفاسد. وعندما ترفع الحدود تضحى القلوب مراتع لكل فكر ورأي. وهذه لا تنزل من السماء.

بل تبدأ بابتسامة وجلسة وكلمة أحسنت وتتصل من خارج وداخل يد الأجنبي والنفس ويصل الأمر إلى ذلك الحال.

لماذا يعرّف الحسين "عليه السلام" أحياء سنّة جدّه، الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" هدفاً لثورته؟ وما البِدَع والأفكار الخاطئة التي تعرضت لها سنّة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" حتّى يأتي الحسين "عليه السلام" على الساحة هو وأصحابه ويُسبى آله؟

لقد كانت كربلاء ساحة مواجهة بين فئتين، فئة فتحت خندق فكرها وعملها بوجه الأجنبي وجعلت الميزان عقلها الذي لم تهذّبه بالطاعة الخالصة لله ورسوله وتعرّض إلى الانحراف والطغيان، مع فئة حافظت على فكرها وعملها في زلال كوثر الولاية من كلّ أجنبي وجعلت حارساً يقظاً مثل الحسين "عليه السلام" ميزاناً لصحة وسقم فكرها وعملها.

ان الاخلاص الذي له أهميّة كبيرة في سعادة الإنسان وكماله ومن دونه تكون أعمال الإنسان هباءً منثوراً، ظهرت ذروة تجلّي دوره في كربلاء.

ووقف ذوي الأفكار والعقائد النقية والخالصة الّذين لم يقعوا في الرذائل نتيجة الجهاد المستمر مع النفس، في صف الحسين "عليه السلام" يستقبلون الشهادة وأقاموا مؤتمرا أبدياً لايقاظ الناس، ومادامت الدنيا باقية يقف من كانت له صبغة إلهيّة وطمغ عمله وفكره بطمغة الاخلاص، في هذا الصف في مواجهة الّذين باعوا دينهم بدنياهم، ويقف من له صبغة غير إلهيّة، سواء صبغة غربية أو صبغة شرقية، أي من له صبغة غير الولاية، في صف طلاب الدنيا في مواجهة حسيني الزمان.

لقد وقف الحسين "عليه السلام" مع أصحابه الخلّص في ساحة كربلاء لفضح القلوب المفتوحة أمام كلّ من يريد أن يرتع، وقف ليتحسر الّذين فتحوا قلوبهم لغير الله، على سراب ظنهم، ولتكون عاقبة عملهم القبيح مؤلمة. وقف لتكون حدود العقيدة والعمل معيّنة ومشخصة بلون الدم حتى نهاية الدنيا. الحدود المقدسة والقلوب حريم الكبرياء، وما هي عاقبة الأجانب المعتدين على الحدود والحُرَم غير العار والفشل. وهذه هي عبرة عاشوراء "كل يوم عاشوراء ولك أرض كربلاء".

عاشوراء، تجلّي المواجهة بين فكرين للدّين،

فكر يدعو إلى بسط الشريعة وفهم ملتزم بالسنّة النبويّة

في أحد أطراف الساحة، هناك فكر منبسط من التسامح والتساهل ازاء الدين. والدّين في هذا التصور، ليس محلاً لظهور وصدور وإجراء الأحكام الإلهيّة في اطار الجماعة وكافة المسلمين، بل يتلخص في الصلاة والصوم والحج والثواب الأخروي. وما هو الانبساط الذي حصل في المعرفة الدينية لشريح القاضي الذي يفتي بقتل الحسين بن علي "عليه السلام"، أو أبو موسى الأشعري الذي يتكلم باقالة علي "عليه السلام" في قضية التحكيم؟ وإذا كان اقتضاء الزمان وعقل معيشة الدنيا يبسط المعرفة الدينية، فهذه نتيجة ذلك الانبساط والنتيجة تنسجم تماماً مع المقدمة. وما هو البسط الذي حصل في الشريعة عندما يظهر أبو سفيان وبني اميّة مثل مروان والوليد اللذين نفاهما رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" نفياً دائمياً، في صف المنادين بالشريعة والحكّام الدينيين ويتسلمون الحكم ويجتهدون؟ اجتهاد أموي في مقابل النص النبوي والعلوي، أليس ذلك البسط الذي هذه ثمرته؟

وأي تسامح وتساهل حصل في أحكام الدين والسنّة النبويّة حيث يقوم خليفة رسول الله!! بشرب الخمر في مجلس ويغنّي المطربون ويرقص الراقصون في دار الخلافة وأصبح تبرير هتك حرمات الله وغض النظر عن ذلك يعتبر عين الديانة؟ وهل كان بلاط الشام خالٍ من الصحابيين والمؤمنين بالدين؟ كلا، بل أضحى لديهم فهم معيّن للدّين مستمد من الفكر الذي كان ينشره طلقاء رسول الله والمؤلفة قلوبهم واعتبروا مثل تلك المحرمات عين اقتضاء الزمان وعقل المعاش وتدبير الأمّة! وما هو التسامح والحلم الديني الذي حصل فوقع ذلك الخلل للحدود، إذا كان في قصر معاوية ويزيد مستشارون غير مسلمين يعلّمون أمير المؤمنين!! تدبير السياسة والحكم؟

انّ المداراة في الدين، بأي مفهوم كانت، إن انتهت إلى إهمال حكم من أحكام الله، فهي غير صحيحة ومن تلقين الظالمين الّذين يعادون حقّانية الدين ويريدون إزالة الدين من المجتمع خطوة خطوة.

وإذا قام إمام أو فقيه عادل ومتقي بتعطيل حكم لفترة قصيرة مراعاة لمصلحة المسلمين، فذلك ليس من باب المداراة والتسامح، بل للمحافظة على قوة الإسلام وتقوية المسلمين. والتقيّة في هذا المنظار هي سلاح وليست خضوع، وهي حكم من أحكام الله، وليست نفاقاً، وتدبير عقلاني وشرعي، وليست نقطة ضعف. وحين يضع علي "عليه السلام" السيف في الغمد بعد قضية السقيفة، لا يتهمه شخص بالجبن والخوف والنفاق، بل يُشيد به لأنه حبس نفسه في رضا الله من أجل وحدة الأمّة الإسلامية وتقويتها، كي يظل مشعل هداية الحق مضيئاً. وحينما وافق سماحة الإمام على قرار وقف إطلاق النار رغم حثّه المتكرر للناس على الدفاع، لم يفكّر إلاّ برضا الله ومصلحة الشعب المضحي والمؤمن بالإسلام. انّ المداراة والتدبير الذي كان يقوم به يزيد وأسلافه، كان هتك لحريم أحكام الله والإضرار بمصلحة المسلمين وقوامهم ودوامهم. وهل يمكن أن يقوم شخص بتدبير شؤون الأُمّة الإسلامية والمحافظة على قوتها وعزتها، وهو غير مستفيد من الإسلام وعزّته؟

وفي "صفّين" لم يقبل الإمام علي "عليه السلام" أن يحاصر اقتصادياً جيش معاوية وسد شريعة الماء بوجههم، ولكن معاوية قام بذلك فاتّضح الاختلاف في التدبير. وكان علي "عليه السلام" يؤكد على أحكام الله، ولا يضحي بدين الله لبلوغ دنيا عامرة وكان يلتزم بالعقيدة الدينية بتعصب، أما معاوية فكان يرى كلّ شيء مباحاً، والفرق بينهما في هذا المعنى.

وحين طُلب من الإمام علي "عليه السلام" ان يُبقي معاوية والياً على الشام لفترة زمنية قصيرة، ويعطي لطلحة والزبير شيئاً ويرسلهما راضيين إلى البصرة حتى تترسخ سلطته ثم يقوم بما يريد، كان هذا الاقتراح مداراةً وتسامحاً وتساهلاً مع أهل الباطل؟ لماذا لم يقبل الإمام علي "عليه السلام" بنصيحة أصحابه الغافلين؟

انّ المداراة هنا كسر للإسلام، كسر لا يمكن جبرانه. وإذا حصلت هكذا هوّة في الإسلام على يد ولي أمر المسلمين، فأية يد يمكنها ردم تلك الهوّة؟ ان الإمام علي "عليه السلام" لم يكن خائفاً من أنّه مدبّر أم غير مدبّر، ولم يكن خائفاً من أن ينتصر أو لا ينتصر، يمدح أو يذم، يُتّبع أو يواجه. ولم يتولّ حكم المسلمين من أجل هذه الأمور حتى يقوم بتدبير وتسامح من هذا النوع خوفاً على فقدانها. لقد جاء إلى ساحة هداية الأمّة من أجل الله، ولم تصدر عنه ذرّة عمل وقول خلافاً للهداية. وكان يهمّه رضا الله وطاعته، وليس أعداء الله، فلم يقل كلاماً ولم يقم بعمل يُرضي الأعداء. وكان الحسين "عليه السلام" ويزيد استمرار لحرب علي "عليه السلام" ومعاوية. أحدهما كان يفكر برضا الله وطاعته وهو التزام بالشريعة ومجرى ذلك يصب في مصلحة المسلمين وعزّتهم وكرامتهم والآخر كان يفكر باستقبال ذوي الأذواق والأفكار المختلفة الّذين اجتمعوا نتيجة التسامح والتساهل واتخذوا بلاط الشام مركزاً لهم وكان القلق على اللذائذ التي تهيأت نتيجة هذا البسط في المعرفة الدينية، دين أبي سفيان قد دفعهم إلى القيام بأي عمل. وأدّى عدم التزام يزيد ومستشاريه ومقرّبيه بالدين وأحكام الله إلى بسط معرفتهم للسنخية مع جهنم، مثلما بسطت بطونهم بسبب نهب بيت المال، وتلونت وجوههم بحمرة النار.

وفي الجانب الآخر من الساحة، كان هناك الفكر العلوي، المتبّع للقرآن والسنّة النبوية، يريد إجراء أحكام الله في المجتمع، يسرّه رضا الله تبارك وتعالى، ويرفض رضا أهل الدنيا ومن سقطوا في وادي الترغيب والترهيب، ليس في قبضة التحجر والانعزال حتى يغض النظر عن مواجهة الكفر كلّه مع الإسلام كلّه، كما كان حال بعض الشخصيات في ذلك الزمان الّذين كانوا يقومون بذكر بلا فكر ولا يلبّون حاجات الزمان، ولا في بسط "التساهل والتسامح أزاء حدود الله" حتى يقبل بيزيد في منصب أمير المؤمنين ويضع يده في يد الكفر الأموي ويفضّل زخارفهم على رضوان الله. لقد وقف هؤلاء بحميّة دفاعاً عن أحكام الله ولم يكونوا على استعداد للتسامح والتعامل إزاءها وإن كان ثمن هذا الوقوف التضحية بأرواحهم وسبي

نسائهم من قبل المتدينين المنبسطين إن فهم هؤلاء للدّين يتجه في الولاية ولم يؤثّر في قلوبهم الطافحة بمودة أهل البيت صدأ الجاهلية الأموية ودعايتهم الواسعة. لقد حوّل هؤلاء فرس النفس الجموح ووسوسة العلم والعقل إلى مركب هادئ ومصباح مضيء في ساحة ظلمات الكفر وضلالة الجهل، بواسطة أيدي الولاية الكفوءة بحيث أصبحوا دائماً سفينة نجاة ومصباح هدى للخلائق وسدّوا سبيل الله بوجه لصوص المعرفة الدينية وفتحوه بوجه المتعطشين للهدي الولائي.

"لا يتصوّر شخص أننا لا نعرف طريق المساومة مع ناهبي العالم، ولكن هيهات أن يخون خدّام الإسلام، شعبهم، وطبعاً نحن مطمئنون إلى انّ الّذين لديهم بغض قديم للعلماء الأصيلين ولا يمكنهم إخفاء عقدهم وحسدهم يدفعون أولئك إلى الكلام البذيء في هذه الظروف. بيد أن العلماء الحقيقيين لا يساومون ولا يخضعون أمام الكفر والشرك ولو فصلت عظامنا فقرة فقرة، ولو سُبيت نساؤنا وأولادنا ونُهبت أملاكنا أمام أعيننا، فإنّنا لن نوقّع أبداً على ورقة أمان الكفر والشرك".

"إنني أعلن بحزم لكل العالم انّه لو أراد ناهبو العالم أن يقفوا بوجه ديننا، فإنّنا سنقف بوجه كلّ دنياهم ولن ننثني حتى القضاء عليهم"(١).

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" في ندائه إلى حجّاج بيت الله الحرام.

عاشوراء، مجابهة بين رؤيتين للقيادة،

رؤية الإسلام الأصيل ورؤية الإسلامي الأموي

في أحد جانبي هذه الساحة كان هناك أُناس لا يعتبرون القيادة تنصيباً من الله في "غدير خم" وهي موجبة لإكمال الدين ويأس الأعداء من الإسلام، بل يرونها اتجاه شعبي بطل باتجاه آخر. ويشيرون إلى ان بيعة الناس هي علّة القيادة ويعتبرون بيعة الناس في "سقيفة بني ساعدة" مدعاة لشرعيتهم. ورغم انّ المؤامرات والعداوة والبغض لأهل بيت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وعلي بن أبي طالب "عليه السلام" اتضحت وثبتت بصورة تامة في مسير هذا الانتخاب، ولكن استمراراً في تبرير أساس تعلّق القيادة بالأفراد، نشاهد وصيّة الخليفة الأول التي تنقض انتخاب الشعب، ثم نشاهد الوصية في إطار شورى ويدل اختيار الأفراد فيها على معرفة الموصي بانتخاب الشخص المطلوب "عثمان". وبعد أن غُصبت القيادة من آل الله في خضم السياسة الجاهلية لقريش، فإنّها وصلت إلى الوراثة الأموية. وورث يزيد من أبيه صفة خليفة المسلمين. ولم يكن اولئك يعتقدون بالتنصيب الإلهي ولا بتشخيص وانتخاب الناس، لقد كانوا يريدون الخلافة وكانوا يحوكون عباءة لها كي يظهروا بمظهر الحق في نظر الناس العوام. وإذا كان انتخاب الناس حقّ، فانّهم بايعوا عليّاً "عليه السلام" في غدير خم بعد ابلاغ حكم الله وقبلوه خليفة لرسول الله من أجل مواصلة سيرته وتقوية الوحي في المجتمع الإسلامي. وكانت بيعتهم تعطي إمكانية جريان حقّ الولاية، ولكن شيوخ الخواص، أجلسوا ناقة الخلافة عند باب دارهم وهكذا أهملوا التنصيب الإلهي وبيعة الناس كذلك. وفي تلك الرؤية كان كلّ من يسيطر على المجتمع يُسمّى "ولي الأمر"، وان كان يزيد الذي نهب بيت المال وصمم على هتك حريم أحكام الله ويُسمّى الحسين "عليه السلام" بن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وسيّد شباب أهل الجنّة، خارجياً ويصبح دمه مباحاً لأنه لم يضع يده الطاهرة في يد يزيد الملوّثة، وينظر إلى اليهود والنصارى في كسوة

المستشارين، أصدقاء للخليفة. انّه ظاهر مُزيّن يجذب قلوب أهل الدنيا من ذوي النزعة الديمقراطية ويعرض وجهاً للديمقراطية البشرية الكاذبة القائمة على المكر والخداع والفساد.

وهذه هي الديمقراطية التي تبلورت في ذلك اليوم في سقيفة بني ساعدة واعتبرت معاوية ويزيد وعمرو بن العاص وامثالهم ولاة أمر، وإذا كان ولي الأمر ذلك حيث يحكم في المجتمع بواسطة الأعمال الخيانية والجرائم والمكر، فإن واقعة كربلاء العظيمة كانت أمراً متوقّعاً. وهذه هي نتيجة النظر إلى القيادة من هذه الزاوية، واليوم لا نشاهد غير هذا في العالم الإسلامي.

وفي الجانب الآخر وقف أشخاص قليلون بصلابة كانوا يعتبرون القيادة تنصيباً إلهيّاً في الغدير، ويرون بيعة الناس مع اختيار الله، إمكاناً لإجراء الولاية واعتبروا سبط رسول الله الإمام الحسين "عليه السلام" زينة لهداية الناس نحو الكمال والفلاح وأحاطوا به. وولي الأمر في هذه النظرة هو الشخص الذي يسير على نهج النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ويطيع الله تعالى بصورة مطلقة. وكالغدير على ضوء هذه النظرية أساس الولاية واستمرار لسيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم". وأهل البيت مع القرآن وسيلة لانقاذ الأُمّة الإسلامية ويعتبر كلّ منهما ناقص من دون الآخر، والمصداق الواضح لهذا النقص، هو الوضع الذي حصل في عاشوراء.

ولو كان القرآن يكفي وكانت بيعة السقيفة صحيحة، فلماذا أصبحت كربلاء مسلخاً لأفضل شبّان الأمّة الإسلامية؟

انّ البيعة ليزيد بن معاوية، على ضوء هذه النظرة، هدم للاسلام والسيرة النبوية، وسيطرة شارب خمر على مصالح المسلمين وتجاهل الأحكام الإلهيّة، وإن اجتمع اناس كثيرون بجهل ومكر حول غاصب اتكأ على أريكة حكم المسلمين. وهنا ليس المعيار الكثرة والقلة، هنا حقّ وباطل، إسلام أصيل وإسلام أموي، روح الإسلام وقشرة الإسلام، لذلك فإنّ التضحية بالنفس وتخضيب المحاسن بدم الرأس، حياة

واحياء للاسلام الأصيل ونفخ روح الإسلام فيه، والخضوع للاستكبار اليزيدي والنظام القائم على ذلك، موت وذلة.

"لو محينا من صفحة الدهر على اليد المجرمة لأمريكا والاتحاد السوفيتي ولقينا ربّنا مضرّجين بدم الشرف، فهو خير من أن نعيش حياة مرفّهة تحت راية الجيش الأحمر في الشرق الأسود في الغرب وكانت هذه سيرة وطريقة الأنبياء العظام وأئمة المسلمين وعلماء الدين المبين ويجب أن نتّبعها"(١).

عاشوراء، نتيجة مماطلة الخواص، وانعزالهم وخوفهم

انّ الجيش الكبير الذي وقف في كربلاء يوم عاشوراء كي يقتل أصحاب الحق فداء لرغباته، من الذي جمعه؟ وكيف جاؤوا لمحاربة آل الوحي؟ ألم تكن الفترة الزمنية التي مضت على بناء مجتمع من قبل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، لا تزيد على خمسين سنة، وكثير من الناس كان يتذكر كلام رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وحبّه لهؤلاء الرجال العظام وسيّدهم الحسين بن علي؟ كيف وصلوا إلى هذه الحالة؟ ما هو الانحراف الذي حصل في المجتمع الذي بناه منادي الوحي حتى يتسابق في ذلك اليوم في قتل الحسين "عليه السلام"؟ ان ما كان يشاهد في ذلك اليوم في تلك الساحة الصغيرة في الظاهرة، ولكنّها بسعة التاريخ، كان حصيلة الانحراف الذي جرى في السقيفة على أُمّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم". لقد بدأ الانحراف حينما وضع جانباً التنصيب الإلهي في الغدير وانعكست المنافسة والعناد في جملة "حسبنا كتاب لله". ولو كان كتاب الله يكفي عن الولي والإمام والقائد والعادل والعارف بالطريق والذي يهتم بالأمة، فلماذا وصف الله تعالى يوم الغدير، يوم إكمال الدين واتمام النعمة ويأس الكفار من دين المسلمين؟ ولماذا اعتبر رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" في حديث "الثقلين" مراراً، القرآن والعترة لازمين إلى جانب أحدهما الآخر لهداية الناس ووصف الافتراق بينهما مساوياً

---

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" في وصيته السياسية الإلهية.

للضلال والانحراف؟ ولو أن الأصحاب الّذين كانوا حاضرين في منطقة الغدير قد تركوا دنياهم واختاروا رضا الله في يوم السقيفة وقفوا بوجه الكلام الخاطئ الذي كان يستبطن المكر والتزوير، لما تجرأ شخص في ذلك اليوم على الهجوم على خيام رسول الله في كربلاء. ولو أن الّذين طرق أبواب بيوتهم الإمام علي "عليه السلام" والزهراء (سلام الله عليها) ـ وهما مشعلان مضيئان للحق، والحق معهما وهما مع الحق ورضا الله في رضاهما وسخطه في سخطهما ـ كي يشهدوا بالغدير، لم يتهربوا من الكلام الحق ذلك ولم يضعوا سيوفهم في أغماد حب الدنيا وطلب العافية ولم يسكتوا رغبة في الدنيا، لما قطع شخص في ذلك اليوم رؤوس اعزاء الإسلام وحملها على الرماح، وهتفوا بهلاهل الفرح على أبدانهم المقطّعة وزيّنوا بوابات المدينة احتفالاً بدخول الخوارج السبايا!

وقد اتّسع الانحراف خلال فترة ٢٥ عاماً إلى درجة بحيث انّ الناس لمّا وقفوا عند باب بيت الإمام علي "عليه السلام" يصرّون عليه أن يتولى زمام اُمورهم بعد أن تعرضوا إلى الظلم والتمييز وحرموا من عطر الإسلام المحمدي الأصيل، وقعت في عهد الإمام علي "عليه السلام" حروباً انقضت خلالها معظم فترة حكمه وكانت العاقبة استشهاده في محراب العبادة على يد الخوارج. ولم يتمكن الإمام علي "عليه السلام" من هدم تلك الهوّة، لأن الّذين اختاروا الدنيا على اداء الحق والثورة على الباطل بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، كانت قلوبهم في ذلك أكثر تعلّقاً من ذلك الزمان وقد ذاقوا حلاوة عالم التمييز والإسلام المحرّف. وفي ذلك اليوم لم يشهدوا، وفي أيام حكم الإمام علي "عليه السلام" شدّوا رحال الشغب والمواجهة وخرجوا على الإمام علي "عليه السلام" في واقعة الجمل. وفي كربلاء وقعت أعظم فاجعة في التاريخ كي تظهر نتيجة سكوت أدعياء الحق وشاهدي الإمامة أمام أنظار الناس. ولو أن الّذين كانوا يعرفون الحق لم يخافوا على أنفسهم، وقاموا بتبليغ رسالة الحق من دون خوف من سيوف الفتنة، لما وصلت فتحة

الانحراف إلى حد عجز عن سدّها الإمام علي والإمام الحسين "عليه السلام" وتلطخ الحسين "عليه السلام" بالدم في فتحة ذلك الانحراف.

لقد أخذ الله عهداً من العلماء أن لا يضعوا ستارة السكوت على علمهم، وأن يقوموا بالشهادة على الحق عندما تكون لازمة. وتترتب على التأخير في اظهار الحق وبيان الصدق والصادقين، نفس الخسارة التي تترتب على السكوت والانعزال. ويستفيد المنحرفون من كلتا الحالتين وتتسع فتحة الانحراف من كليهما. والمماطلة هي الوجه الآخر للسكوت. ان عدم التكلّم والهتاف والقيام في الوقت المناسب، هو مثل الانعزال عن المواجهة بين الحق والباطل.

وأدرك بعض الأصحاب خطئهم فيما بعد، ولكن لم يكن ممكناً إعادة الماء الذي ذهب إلى الساقية وظلّت الحسرة في قلوبهم وكانوا شاهدين مقصّرين على انحراف الإسلام.

"كان عدد التوابين في التاريخ عدة أضعاف شهداء كربلاء. وقد قُتل شهداء كربلاء كلهم في يوم واحد، وقتل التوابون كلّهم في يوم واحد أيضاً. ولكن لاحظوا ان الأثر الذي تركه التوابون في التاريخ لا يساوي واحد بالألف من الأثر الذي تركه شهداء كربلاء، لأنهم لم يأتوا في الوقت المناسب، ولم يقوموا بعمل في لحظته، وكان قرارهم متأخراً، وتشخيصهم متأخراً... اتخاذ القرار من قبل الخواص في الوقت اللازم، وتشخيص الخواص في الوقت اللازم، وتخلّي الخواص عن الدنيا في اللحظة اللازمة وعمل الخواص في سبيل الله، ويجب القيام بالحركة اللازمة في اللحظة اللازمة، وهذه تنقذ التاريخ والقيم وتحافظ على القيم. ويجب القيام بالحركة اللازمة في اللحظة اللازمة، وإذا مر الوقت فلا فائدة بعد ذلك..."[1].

---

(١) آية الله الخامنئي، كلمة ألقاها في فرقة ٢٧ محمّد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".

عاشوراء، مواجهة بين الساقطين من قمة الجهاد

الرفيعة وبين الّذين وقفوا ثابتين على القمة

ان من وجوه الاختلاف بين الفئتين اللتين وقفتا في مواجهة أحداهما الأخرى كي يصنعوا أعظم حادثة في التاريخ البشري وتجربة للأمة الإسلامية وعبرة للمسلمين، هو أن احدى الفئتين لم تقم بالجهاد الأكبر بعد الجهاد الأصغر، أو لم تعلم انّ الجهاد الأكبر، هو جهاد شامل ومستمر، والفئة الأُخرى لم تغفل لحظة عن الجهاد الأكبر، والفارق بينهما هو الهوّة التي شوهدت بينهما في كربلاء في ذلك اليوم.

انّ الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" الذي هو أعظم إنسان، لديه أفضل الكلام وأكثر العلوم ومتّصل بالوحي الإلهي. وحين عاد أصحابه من إحدى الحروب الضارية، وكان الأصحاب فرحين لنصرتهم رسول الله والدّين ويفكرون بسعادة الّذين حصلوا على ذلك التوفيق قال لهم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم": مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ولعلّهم لم يفكروا كثيراً في ذلك. وهناك أصحاب اهتموا بهذا الحديث الذي قاله رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وعاهدوا أنفسهم، بأن يقوموا بجهاد دائم مع أنفسهم. وقد أدركوا ان سر المحافظة على المنجزات الكبيرة التي حصلت في بدر واُحد وخبير وحنين هو هذا وليس غيره.

لقد فهموا بصورة صحيحة ان معنى هذه الجملة هو: لو كنتم نلتم فوز الشهادة، جبهة الجهاد ضد عدو الله، لغبطت الملائكة عروجكم. والآن حيث بقيتم وأصبحتم عرضة للاختبارات والحوادث وزينة الدنيا، يجب أن تراقبوا أنفسكم دائماً في كلّ لحظة ان أردتم أن تحافظوا على تلك المفخرة والقيمة والفوز وتبقون في قمة الجهاد الرفيعة ولا تدخلوا في ساحة سباق أهل الدنيا ويجب أن تلقّنوا أنفسكم دائماً ان "ما عند الله خير وأبقى".

انّ الفئة التي سمعت في ذلك اليوم هذه الموعظة القيّمة لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ولم تقتنع بها، شاهدت في المرحلة التي انتشر فيها الإسلام وتلوّنت مائدة المسلمين، أشخاصاً من ضعفاء الإيمان أقبلوا على ملذات الدنيا وقاموا بجمع المال والاكثار من الإبل، فظنّت أنها خسرت في سباق وقامت بجبران ذلك، ويا له من جبران! لقد تقدموا في السباق إلى درجة بحيث ان قطع ذهبهم كانت تُكسر بالفاس كي توزّع على ورثتهم. فماذا كانت النتيجة؟ لقد فقدوا كلّ القيم وحصيلة سنين من الجهاد ومصاحبة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ولم تظل لهم غير الحسرة. مثل صاحب الحديقة الذي كان يظن أن محصوله سيظل دائماً وغفل عن ذكر الله، وفي صباح ذات يوم احترق جميع محصوله بصعقة برق واحدة ولم يظل شيء ﴿فأصبح يقلّب كفّيه﴾. وهؤلاء كذلك فقدوا في غفلة واحدة في ساحة الجهاد الأكبر، جميع محصولهم. ويا له من خسران عظيم! ويا لها من حسرة مؤلمة! ان ساحة الدنيا، ساحة جولان النفس والمحافظة عليها والسيطرة عليها وهي تتطلب استمرار في المراقبة والمحاسبة ويجب دفعها إلى الزهد والقناعة والتقوى وطاعة الله تبارك وتعالى.

انّ السيطرة على النفس والأهواء تستلزم مجاهدة ومرارة، وهنيئاً للذين يكون التوفيق الإلهي عونهم وينتصرون في هذا الجهاد أيضاً.

انّ الّذين اجتمعوا في كربلاء للقتال الحسين "عليه السلام" سلّموا كلهم الساحة إلى النفس الامّارة في الجهاد مع النفس ومسك الشيطان بزمام اُمورهم. وقد خدعتهم وعود الأمارة وأكياس الذهب وتعوّدت نفوسهم على الدنيا ولم يتمكنوا من السيطرة على طمعهم. ولم يلتفتوا إلى كونها على حقّ أم على غير حقّ. ولم تتعود انفسهم على الحق ولم تُصبغ بصبغة الله. وبقي الحقد والبغض الجاهلي في تلك القلوب ووصلت رائحته الكريهة في كربلاء إلى مشام أهل العالم ولم يقوموا أبداً بجهاد أنفسهم ولم يكونوا أهل هكذا ساحة.

انّ خرق العهد ومواجهة الضيف، هي سيرة الأشخاص الّذين يخسرون في ساحة الجهاد مع النفس ويهيئون لأنفسهم ذلة الهزيمة من النفس. ويؤثر التهديد في الضمير الذي يختار الدنيا على الآخرة، ومَن يريد الدنيا يلتحق بذلك الصف في هكذا ساحات كي لا يفقد ما اختاره ويستمر حظّه القليل. ولقد وقع كلّ واحد من هؤلاء في مشكلة مع النفس بنوع ما، ومن لا يتمرّن ولا يعرف سر الجهاد مع الخصم لا يتمكن من الانتصار. لقد أصبح هؤلاء مركباً لها تسوقه إلى أي مقصد ومكان تريده. وقد جعلوا "النفس" فرساً منقادة يسيرون بها نحو رضوان الله واختاروا من الدنيا ما لا يمنعهم ولا يردعهم في الاختبارات الإلّهية، عن السير نحو محبوبهم. وفي أوقات منتصف الليل، كانوا يجثون على ركبهم في المحضر الإلهي يبكون ويصرون ويرفعون أيديهم يدعون ربّ العالمين. وفي النهار كانوا يمنعون أنفسهم من الميل نحو الظالمين والشوق إلى طلاب الدنيا. وقد عرفوا حلال الله وحرامه جيداً وتركه الحلال من الأجل تجنّب الحرام وربطوا النفس بسلسلة الطاعة وهكذا وضعوا أقدامهم في الصراط الإلهي المستقيم وزاد كلّ لحظة من سرعتهم في القرب إلى الحق. ولم تؤثّر فيهم مشاهدة كثرة مال ناهبي العالم. وحذّر أبو ذر وهو يحمل عظماً بيده الجالسين في قصر دمشق من الدنيا. وقد ترك الدنيا خلفه ووجد النفي إلى "الربذة" والاستشهاد المؤلم لذيذاً. وقبل بذلك ولم يقبل عار قبول الدنيا وتأييد معاوية ودار خلافة عثمان ورقع الإمام علي بن سأبي طالب "عليه السلام" حذاءه عدة مرات بيديه المباركتين واقتنع بخبز مع ملح كي يقول "لا" لجميع المظاهر الدنيوية ولجميع دعوات غير المخلصين الّذين كانوا يدعونه إلى سلّ السيف بوجه الخليفة الثالث ولشرط شورى عمر في اتباع سنّة الشيخين. وقد رفض العباس بن علي ورقة الأمان، وسابقاً حرق أوراق الأمان في ساحة الجهاد مع النفس. وطلب الحر بن يزيد الرياحي العفو من الحسين "عليه السلام" وهو خجل يمشي على قدميه وترك قيادة فوج اليزيديين واختار الاستشهاد، بعد أن ادّب نفسه في ساحة الجهاد مع النفس. وترك زهير المال والمرأة والولد لأنّه كان يرى للولاية اعتبار أكثر من

الاسم والمرأة وجميع الدنيا وقد أثّر في حب الحسين "عليه السلام" بعد ان هيّأ الأرضية في نفسه. وكانت كربلاء ساحة مواجهة بين الّذين خسروا في الجهاد الأكبر وبين مجاهدي النفس. وهي عبرة تحتاجها حاجة ماسة العيون القلقة من العاقبة.

"في ساحة الحرب يتمكن الإنسان بصورة أسهل من احتقار ملذات الدنيا. أما في مرحلة الاعمار فيغفل كثير من الناس عن المنجزات المعنوية عند الجلوس على مائدة لذات الدنيا... واليوم لا تزال تعمل نفس الاجهزة التي كانت تريد الحيلولة دون تقدم قواتنا المؤمنة في ساحة الحرب... انكم بشر! وإذا أردتم أن تبقوا في تلك المكانة الفاخرة والقيمة، فيجب أن تجاهدوا، الجهاد الأكبر. وما هو الجهاد الأكبر؟ الجهاد مع النفس"[1].

(١) آية الله الخامنئي، فرقة ٢٥ كربلاء.

عاشوراء ثمرة الشبهات التي زرعها

المتدينون الجاهلون في أرض الإيمان

لو نظرنا جيداً إلى الملف المفتوح للصفّين اللذين تقابلا في كربلاء ونطالع خلفياتهما في ذلك، لشاهدنا ان فئة قامت رويداً رويداً بتأسيس تنظيم بعد قيام الحكومة الإسلامية في المدينة واتضاح النهج الحكومي للإسلام في الأوامر والأحكام الحكومية لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وبدأت تحركات استهدفت أساس الإسلام، ولكن بدأت وفق سياسة خطوة فخطوة، من الاعتراض على كيفية تقسيم الغنائم، إلى الاستياء من القيادة المنصبة. ومن أي شيء كان يخاف رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" حتى قرأ عليه مَلَك الوحي في منطقة الغدير: ﴿يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلّغت رسالتك والله يعصمك من الناس﴾[1].

وما تلك البذرة المشؤومة التي أمر الله تعالى من أجل الحيلولة دون وصولها إلى مرحلة الثمر فقال: ﴿فما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أو قوله تعالى: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾[2].

وقام الّذين خضعوا للحكم الإسلام وظلت قلوبهم متعلّقة بالدنيا بفصل روح الإسلام عن هيكله، بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وبدأوا يشككون في وحي الله وتأويله وتفسيره وفق مصالحهم. وشككوا في ولاية أهل البيت من خلال نشر عبارة "حسبنا كتاب الله" وأخرجوا الحكم من بيت رسول الله إلى بيتهم. واعتبروا الغدير ابداء مودة واحترام لجهاد علي "عليه السلام". ومنعوا

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

رواية الحديث عن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" كي ينفصل ارتباط النـاس بمصدر الرسالة والشريعة ولا تُروى فضائل أهل البيت. وأدت هذه وعشرات الأفكار المسمومة الأُخرى إلى جر المجتمع الإسلامي النموذجي نحو ضعف الإيمان والفراغ من المعرفة الأصلية النابعة من الوحي.

ماذا كان سر انتصار الإسلام واتساع دائرة الحكم الإسلامي؟ لقد اسـتهدفوا هـذا السرّ وأفرغوا قلوب العالم الإسلامي من قوة هذا السر بواسطة السهام المسمومة التي صنعتها العقول المرتبطة بالجاهلية، رغم أنّهم قاموا بتوسيع دائرة مرض داخلي مهلك ومثَّل الأعداء بهيكله. لقد كان سر انتصار الإسلام في القيادة المعتمدة علـى وحـي الله، وطاعة المؤمنين للدّين الإسلامي المتجسد والأحكام الإلهيّة، وقد تعـرّض هـذا السر إلى هجوم بعشرات الأساليب، بواسطة ألسن وأقلام الحيلة والتزوير فـي إطـار أنواع الشبهات وطرح الابهامات، وتزوير أحاديث وتأويل الآيـات الاسـتفادة غيـر الصحيحة من التاريخ. وكانت عبارة "حسبنا كتاب الله" بداية طريـق كانـت نهايتـه استشهاد علي والحسن والحسين "عليه السلام" وتبرير حكم الأمـويين والعباسـيين. وقد فصلوا رأس الإسلام عن هيكله في السقيفة، وفي يوم عاشـوراء فـصل أشـقى مجرم في العالم رأس الحسين "عليه السلام" عن بدنه في كربلاء.

لقد كانت عاشوراء وكربلاء تبلوراً لنضوج الشبهات والعقائد الدينيـة. وتمكنـت عقول مفكّرة وألسن فصيحة وأقلام قويّـة متـأثرة بالجاهليـة وتلقـين الأعـداء مـن الاخلال بأصل قوام المسلمين ودوامهم وقوتهم وعزتهم وأبعاد أذهان المؤمنين عنها. وهذه عبرة عظيمة لنا.

انّ الّذين فصلوا الولاية عن الرسـالة كـي يجـري تفـسير القـرآن فـي الخلافـة المغصوبة، لصالح الجور والظلم وأداء الإسلام، كانوا في داخل المـسلمين. وكـانوا يعيشون بين المسلمين، في مدنهم وبلادهم وكانوا شاهدوا عن قرب مجري الحـق. ولم يكونوا غرباء عن المسلمين. ولم يكونوا بلا سابقة في نصرة رسـول الله وحتّـى الجهاد في الحروب. وبسبب تلك المعرفة والحضور، نفذ كلامهم وأثّر سهمهم ومنع

الآخرين عن إدراك الحقائق والتدبّر في الأقوال والمقارنة بسيرة رسول الله. وقام أصحاب الأمس بإطلاق شعار فصل الدين عن أهل البيت. واعتبر صحابة كبار القرآن كافياً لهداية الأُمّة ونقضوا من خلال طرح مسألة رأي الناس في الانتخاب، وصية الله بتنصيب الولاية وفضّلوا الديمقراطية الجاهلة وذات الاتجاه القبلي على الغدير وعملوا أثناء حكمهم بمبدأ الوصية وشورى الخلافة والوراثة بناء على مصالحهم. ومنع اتباع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" رواية معارفه بعد رحلته المؤلمة كي لا يتضح الحق! واظهر الحق باطلاً والباطل حقّاً وهذه أصبحت ممكنة في ظلال الكلام والاجتماعات وزخارف الدنيا المادية. وقاموا بطرح براهين من أجل إظهار الحق باطلاً، ونشروا ذلك في المجتمع الإسلام وصبغوا الكلمات بلون خادع كي يهزّوا قلوب المؤمنين، وكان عدو الإسلام قد كمن في الروم بينما كان اولئك منهمكين في تخريب بناء الإيمان والمعرفة الدينية للناس كي يظهروا الإسلام حسب زعمهم بمظهر يوجب الاشادة من قبل الأعداء. وقاموا بتبديل الامامة والولاية وسيرة قيادة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى سلطنة وزخارف دار الخلافة والحرية في النهب وعدم التقيد بالأحكام الإلهيّة وتعطيلها من قبل الحكم وانتشار الفساد في إيمان الناس والشباب وابتعادهم عن الإسلام في عصره الأول. ووقف الإسلام الأموي، إسلام أبو سفيان والإسلام الذي يكون فيه القائد المنصّب من قبل الله تعالى، بعيداً عن ذلك نجح في انحراف المجتمع بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم". وتشير ذروة القسوة التي وقعت في عاشوراء إلى خطة العدو من أجل القضاء على الإسلام الأصيل واسلام الولاية وقد أحبط الله القدير ذلك.

انّ عاشوراء مواجهة بين صفّين لهما تلك السابقة. واستطاع الصفّ المرتبط بالشيطان ارتكاب ظلم عظيم بحق الصف المرتبط بالحق، وذلك بمساعدة تلك الشكوك والابهامات والكلام والباطل وسوء الفهم للقرآن. وكانت مظلومية أعظم من استشهاد اولئك. وهي مظلومية بدأت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، عندما لم يسمحوا أن يكتب وصيته ثم إحراق باب دار الزهراء "سلام الله عليها" وجلوس

علي "عليه السلام" في الدار واستشهاده ودس السم إلى الحسن "عليه السلام" حتى وصلت إلى ذروتها في كربلاء. ولكنها لا تنتهي في كربلاء فـ"كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء" وهذه عبرة عظيمة اخرى من كربلاء حيث ان ثمة ألسن وأقلام تريد ارتكاب مظالم وتفكّر بفصل الحكومة الإسلامية عن جذرها وسر وجودها، أي "ولاية الفقيه". وقد أثمرت تلك الأفكار بعد خمسين سنة ووقعت حادثة كربلاء، والآن تكون الفترة بمقدار اعتبارنا واليقظة والبصيرة التي تترتب على العِبر.

"كان الزبير من بين عشرة أو اثني عشر شخصاً وقفوا في مسجد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد رحلة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" للدفاع عن أمير المؤمنين "عليه السلام".

لاحظوا صعوبة الدنيا. في ذلك اليوم حيث كان الجميع في جانب، الصحابة، عوام الناس، خواص الناس، وكانت حادثة السقيفة قد وقعت بتلك القوة. وأمير المؤمنين "عليه السلام" في دار فاطمة الزهراء "عليه السلام" وكان هذه التي سمعتموها. وفي تلك الظروف، في كلّ المدينة، جاء اثنى عشر شخصاً في الظاهر وأسمائهم مدوّنة، إلى مسجد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ودافعوا عن أمير المؤمنين "عليه السلام" وعن حقّ أمير المؤمنين "عليه السلام". وكان الزبير أحدهم. وهو الشخص الذي قتل في الجمل، في حرب ضد علي "عليه السلام"!! لاحظوا ألا يحق للانسان أن يخاف أم لا؟ انّ القضية صعبة يا اعزائي.

وفي حرب صفّين ضد معاوية قال أمير المؤمنين "عليه السلام": "ألا ولا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر والصبر" كم هو جميل، ان حروف البصر والصبر واحدة... ان الاستقامة في ساحة الحرب العسكرية، أسهل كثيراً من الاستقامة أما الجاذبيات، جاذبيات الدنيا الحقيرة"[1].

---

(١) آية الله الخامنئي، عند لقاء مسؤولي الحرس.

عاشوراء، حصيلة فصل الدين عن السياسة

وحكم من يسمّون بالعقلاء في الأُمور

الدنيويّة للأمّة

في أحد جوانب كربلاء، نجد علامة لقافلة تحركت من منزل "السقيفة" وارتاحت في بيت عثمان. وقد سلّمت هذه القافلة نفسها بيد مشايخ القوم مستدلة بذلك على ان عليّاً "عليه السلام" شاب ولا يعرف تدبير الحكم والآن يتضح كلما استمرت القافلة بالمسير ماذا كان المقصود من تدبير الحكم في الخلافة!!

إن تدبير الحكم، معناه الابتعاد تدريجياً عن سيرة وسنّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"!! تدبير الحكم معناه انزواء أحكام الله!! ويعني تدبير الحكم توزيع بيت المال وإشباع الأصحاب والمؤمنين في صدر الإسلام بالذهب والإبل والبيوت والغلمان!! لقد رأى اولئك جعفر بن أبي طالب وكذلك اسامة بن زيد اللذين عيّنهما رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" لقيادة جيش كان فيه صحابة شيوخ. ولكن تلبيس السياسة وتلقين عناصر السلطة الّذين قاموا بعد ذلك بالعمل لغرض انحراف المسلمين عن مصدر القوّة، أي الإيمان النبوي والولاية العلوية، أدى بهم إلى استخدام أضعف البراهين. أليس هذا هو الفكر الذي يعتبر فيه معاوية أدهى من علي "عليه السلام"؟ وما هو دهاء معاوية الذي لا يعرفه شخص؟

لقد مضى معاوية في شراء إيمان الناس وتحريف مبادئ الإسلام وأحكامه وإظهار الباطل في مظهر الحق وإظهار الحق في مظهر الباطل، فهل هذا هو التدبير في الحكم والدهاء في السياسة؟! أليست هذه هي السياسة الرائجة اليوم بين المستكبرين والطواغيت ويسميها البعض، تدبير عقلاء القوم؟ وفي كربلاء جاء يزيد وجيشه لمحاربة ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، بتلك السياسة ليحافظوا على الحكم والسياسة الأموية بتدبير سقيفي! وهذا التدبير قام في البداية بدعاية

واسعة معتبراً أولاد وأهل بيت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" خوارج وأباح دماءهم ثم ترك أجسادهم في يوم عاشوراء مقطوعة الرؤوس على رمال كربلاء.

وفي الجانب الآخر من تلك الساحة كان يرى التدبير في الالتزام بالسنّة النبويّة واجراء أحكام الشريعة. وقد تم التأكيد على الثبات على أحكام الله وسنّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" منذ أن رفض علي وفاطمة (سلام الله عليهما) بعض ما جرى بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، حتى حين لم يقبل علي "عليه السلام" في شورى تعيين الخلافة باستمرار طريقة الشيخين وحينما أصر على عزل معاوية رغم نصيحة أصحابه حيث اقترحوا ابقاء معاوية في حكام الشام فترة زمنية قصيرة، ووقف بوجه اطماع طلحة والزبير وغيرهما فوقعت حرب الجمل وقطع عن نفسه طمع المنافقين في حرب النهروان. واعتبرت البيعة ليزيد ليست تدبيراً، بل خلاف التدبير ورغم أنّ المحتالين الّذين يدعون إلى مداراة العدو ظلّوا على أريكة السلطة مدة زمنية قصيرة، إلاّ أنهم أصبحوا عاراً على مدى العصور ولم يحصل ذلك إلاّ ببركة استقامة المدبرين المؤمنين في يوم عاشوراء، المدبرون الّذين رأوا انتصار الحق من وراء الظاهر الزائل وضجيج دعاية الباطل وأقاموا تدبيرهم على ذلك.

ولم ير هؤلاء انّ الحكم شقّتان، شقّة يسلّمونها ليزيد وأعوانه وأنصاره بوصفهم عقلاء القوم، والشقة القليلة الأُخرى للعلماء والمطالبين بالشريعة، بل كانوا يعتبرون الحكم والتدبير والسياسة عين الديانة ومرافقة لها ولازمة وملزومة. وكان الإمام حاكماً وسياسيّاً ومدبّراً ومخططاً ومتشرعاً وحافظاً للأحكام والسنن الإلهيّة.

لقد كان يزيد وأتباع يزيد مستعدين للقبول بأن يعيش الحسين وأصحابه بسلامة في بيوتهم ومساجدهم وديارهم مقابل اعترافهم بخلافة اولئك في البلاد الإسلامية، ولكن حاشاً، فهذا دين أبو سفيان وليس الدين المحمدي. وهذا الدين يحظى بقبول أعداء الله، وليس الدين الذي يرضى به الله ورسوله. ولو كان الدين هذا لما استشهد أي نبي. ان قائد المسلمين يجب أن يكون ملتزماً ومشرفاً ومواظباً على أحكام الله، أكثر من أي شخص وشخصية. وكان هذا هو الفارق بين الأنبياء والطواغيت وقد

ظهر في كربلاء في أبرز شكله وسيظهر حالياً وفي المستقبل على مصداق "كل يـوم عاشوراء وكل أرض كربلاء". ويجب أن تعرف العين المتّعظة ذلك في جميع أزياء الغير كي لا يتكرر مكر التاريخ مرة أُخرى.

لقد أرسل يزيد رسائل إلى معارضيه ـ وخاصة الحسين "عليه السلام" ـ يدعوهم إلى بيعته والاعتراف به في منصب الخلافة وتدبير واعمار دنيا المؤمنين وأن يقبلـوا بتسلّمه أمر الحكم ويعيشوا بسلامة في منتهى الإيمان القلبي!! فلماذا لم يقبل الحسين "عليه السلام" بهذه الرسالة؟ بينما كان جواب المعارضين الآخرين إيجابياً على تلك الرسائل من خلال ابعاد أنفسهم عن مأموري الخلافة والتزام الـصمت؟ انّ الحـسين "عليه السلام" كان يعرف بسيرة جدّه العظيم ويؤكد عليهـا. وكـان الحـسين "عليـه السلام" يرى ان استمرار هذه السيرة هو الطريق الوحيـد لنجـاة الأُمّـة ولـم يعتبـر التطورات وتزايد الاتصالات وأمثالها ناقضة لهذه السيرة، انّ الطريق الوحيد للنجـاة طاعة الله ورسوله وأولي الأمر الّذين يطيعون الله ورسوله. وتسع دائرة جريان الامور ويزداد مدى التدبير من خلال زيادة السكان ومرور الزمان والتطورات المادية وأُمور من هذا القبيل. وقد اتبع الإمام علي "عليه السلام" نفس السيرة بعد رحلـة الرسـول بخمسة وعشرين عاما.

وكان يدير شؤون المسلمين في كوخ ويتابع القضايا في المسجد، ولـم يخـضع ولاته أمام المال والمنصب وكانوا يعتبرون أنفسهم خداماً للمسلمين، وهذا أسـاس الحكم على المؤمنين.

وفي كربلاء تقابلت هاتين النظرتين كما تقابلت سابقاً وسوف تتقابل فيمـا بعـد. ويتعرض دائماً الّذين يعتبرون الدين عين السياسة ويرونه متجسداً في النبوّة والامامه والفقاهة، إلى هجوم الّذين يدعون إلى فصل الـدين عـن الـسياسة، والحكـم عـن الولاية، وتدبير شؤون المجتمع عن الدين والآخرة وثياب اخرى سوف يُغطـى بهـا الهيكل الضعيف والمزيّن للإسلام غير الولائي.

"أدعو بمنتهى الجد والعجز الشعوب المسلمة إلى اتّباع الأئمة الأطهار وثقافتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لهداة البشرية العظام هؤلاء بصورة مناسبة ومن أعماق قلوبهم مضحية بالنفوس، ولا تنحرف قيد أنملة عن الفقه التقليدي الذي يعكس الرسالة والإمامة ويضمن رشد وعظمة الشعوب، سواء الأحكام الأولية والأحكام الثانوية وكلاهما فقه إسلامي ولا تصغى لوسواس الخناسين المعاندين للحق والدين ولتعلم أن خطوة منحرفة، هي مقدمة لسقوط الدين والأحكام الإسلامية وحكومة العدل الإلهي"(١).

عاشوراء، اصطفاف من جذبتهم ملذات الدنيا أمام طلاب الآخرة

تقابل في كربلاء صفّان بامتداد تاريخ الكفر والإيمان. وكان لكل صف خصائص تاريخية بارزة وشاملة. وكان الصف الذي يمثل امتداداً للكفر، في منتهى الرذالة وذروة الكفر والخبث. وكانت الفئة التي وقفت في صف الإيمان امتداداً لكل البركات وجمال الكمال الإنساني وذروة الإيمان، وكانت كربلاء نقطة ذروة المواجهة بين الفكر والإيمان. وكانت كربلاء وسوف تكون نتيجة نوعين من حركة الناس في التاريخ.

انّ الصف الذي كان يأتي من الظلمة التاريخية للكفر، كان يفضل الدنيا على الدين. وكان هؤلاء عقبة الفراعنة ونمرود وقارون، وقد اختاروا السلطة والشهوة ومال ومنال الدنيا على دعوة الأنبياء الصالحين وأتباعهم البارزين كي يدافعوا عن دنياهم!

وعندما سيطر عبيد الله بن زياد على الكوفة بالحيلة والتزوير والتهديد وجهز جيش الكوفة لمحاربة الحسين عليه السلام، كان بحاجة إلى قائد ينفذ كل ما يصل إليه من أمر. ويتصف برذالة إلى درجة بحيث يرتكب تلك الجرائم بحق الحسين عليه السلام، ورُشّح عمر بن سعد لهذا المنصب ووُعد بأن تُكتب باسمه ولاية

---

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" في وصيّته السياسيّة الإلهيّة.

"الري". وكان عمر بن سعد قد أثبت رذالته حين استشهاد مسلم بن عقيل فأصبح موضع اهتمام عبيد الله بن زياد، فطلب أن يُمهل ليلة واحدة كي يفكر في هذا الصدد.

وحينما اعتقلوا مسلم وأخذوه إلى دار الخلافة في الكوفة، طلب مسلم في آخر اللحظات أن يقول وصيته. فأذن عبيد الله، واختار مسلم عمر بن سعد الذي كانت تربطه به صلة قرابة، لطرح وصيته وهمس في أُذنه قائلاً: إنني مطلوب سبعمائة درهم في هذه المدينة، فبع درعي وسيفي وادفع قرضي. واطلب من ابن زياد جسدي بعد أن أُقتل وادفنّي واكتب رسالة إلى الحسين عليه السلام وحذّره من المجيء إلى هذه الديار...

ولمّا انتهى مسلم من وصيته، التفت عمر بن سعد إلى ابن زياد وقال ان مسلم طلب مني هذه الأمور وذكر كلّ وصية مسلم. فغضب ابن زياد، ذلك الرجل الرذل، من انحطاط عمر بن سعد وقال: مَن يؤتَمن لا يخون، ولو ان مسلماً كان ائتمنني وأوصاني لما كشفت سرّه أبداً.

والآن يطلب عمر بن سعد مهلة للتفكير. وقد ظهرت له الدنيا أي ولاية الري!! وسيطر عليه حب الجاه. ووافق على عرض ابن زياد، رغم أنّه كان يعلم أن القبول بالقيادة يعني العار وخسران الآخرة. ولم يتمكن من التخلي عن الدنيا وينقذ نفسه من ذلك.

وظهرت ولاية الري بالنسبة له، لقمة لذيذة وسيطر الشيطان على نفسه. ولم يكن أمثاله قليلين في جيش ابن زياد؛ فشبث الربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وكثير بن شهاب كانوا من الزعماء الّذين شُجّع كلّ منهم على محاربة الخير الكثير بوعد قليل. ولما أُلقي القبض على هاني بن عروة من قبل جواسيس عبيد الله وتعرّض إلى تعذيب شديد وأُلقي في السجن كي يقتلوه، قامت قبيلته بتجهيز نفسها بسرعة وحاصرت دار الامارة وتهيّأ ثلاثة أو أربعة آلاف رجل مسلّح للدفاع عن هاني والهجوم على دار الامارة وانقاذه وتخليص أهل الكوفة من شر عبيد الله. وفي

ذلك الوقت رآى عبيد الله انّه فشل في اللعب وانتابه الخوف، فاستخدم حيلة والتفت إلى "شريح القاضي" وطلب منه أن يصعد إلى سطح دار الامارة ويطمئن رجال قبيلة هاني أنّه حي وجالس باحترام عند عبيد الله. وكان شريح يعرف وضع هاني وكان هاني سأله لماذا لم يأت رجال قبيلته لانقاذه. وفي تلك اللحظة الحساسة فقد جرأته وخاف من عبيد الله وتهديده واختار الدنيا على دينه. فصعد إلى السطح وقال ما طلبه منه عبيد الله. فاطمأن الناس إلى قوله لأنهم كانوا يثقون بشريح فابتعدوا عن أطراف القصر وعادوا إلى بيوتهم. ثم قتل عبيد الله هانياً. ولو لم يختر شريح الدنيا وقال الحقيقة، لكان من المحتمل أن يتهدم قصر الظلم في الكوفة ولدخل الحسين عليه السلام الكوفة ولم تقع حادثة كربلاء، ولكن اولئك عملوا على انحراف مسير الحوادث والتاريخ نحو الباطل في الأوقات والحوادث والاختبارات الصعبة وفي مفترقات طرق الاختبار. والتهديد والترغيب سلاحان يؤثران في ترجيح ضعفاء الإيمان الدنيا على الآخرة عند الخطر.

وفي الجهة الأُخرى من الساحة لم يؤثر عروض البذل الدنيوي لزعماء الكفر أقل تأثير في حركة الصف الذي بدأ من الهداية الإلهية ودعوة الأنبياء. وحينما عرضت قريش على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك دعوة النبوة وهداية الناس إلى الله تعالى، في مقابل إعطائه الذهب والغلمان وكل ما يريده منهم، رفع يديه وقال: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته.

وكتب يزيد رسالة لعبد الله بن عباس، ابن عم الإمام علي (عليه السلام) وطلب منه أن يحول دون حركة الحسين (عليه السلام)، وقال له: سأدفع له عطايا كثيرة وأعطيه ما كان قرره أبي له، وإذا أراد أكثر من ذلك فاضمن له ذلك ولن اقصّر في هذا الصدد.

ولكن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن يريد الدنيا حتى يفرح بعطاء يزيد وكان يرى حكم العالم ليس أكثر من عفونة ميت، ان لم يكن فيه دين الله وأحكامه.

وكان يريد أن يُردد في العالم الصوت الملكوتي "أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أنّ عليّاً وليّ الله". وكان يريد العالم لاجراء حكم الله، وتجلّي العدالة الإسلامية، وفلاح الناس. ولو تخلّى أي من أصحاب الحسين عليه السلام عن نصرة دين الله لحصل على مثل تلك العطاءات. ألم يأت شمر بن ذي الجوشن بورقة أمان لحامل الراية في كربلاء، أبي الفضل العباس؟ ولو كان ذهب لما أُعطي أقل ما عُرض على عمر بن سعد.

هيهات منا الذلّة. هيهات أن يقبل الحسين (عليه السلام) وأصحابه بالذلة الحقيقية والخضوع لطلب الدنيا والركوع امام الأثرياء والتخلي عن دين الله وأحكامه والخوف من كثرة العدو والسرور بمدح أعداء الله.

ان العروض تترقب دائماً إيمان وتقوى المجاهدين في سبيل الله. ويترقب الأعداء دائماً لفصل المجاهدين في سبيل الله، عن صف المؤمنين بالترغيب والقضاء على أهل الحق بأيدي اولئك، ولماذا طلب عمر بن سعد مهلة لمدة ليلة واحدة؟ لماذا المهلة؟ أليس الحسين بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة؟ فلماذا التفكير؟ ان هذه هي عاقبة التأخير في قطع يد الكفر والتحير أمام ملذات الدنيا.

ان يد طمع الكفر يجب أن تقطع بسرعة وشدة عن بدنها ونفسها. وهذه هي العبرة من عاشوراء وكل يوم عاشوراء.

"انّ النظام الإسلامي، نظام قوي. وبناء هذا النظام، بناء قوي. وطبيعة النظام الإسلامي، طبيعة قوية. لماذا؟ لأنه تشكّل من أفراد الناس، الناس المؤمنون. والعدو يركّز على هذه النقطة. ولهذا تلاحظون إنني أُركّز في السنوات الأخيرة على الغزو الثقافي.

وللأسف بُنيت الأعمال الثقافية في هذا البلد في عهد النظام الملكي الظالم، على عاصفة الهجوم على القيم المعنوية والإسلامية[1].

---

(١) آية الله الخامنئي، فرقة ٢٥ كربلاء.

عاشوراء، مواجهة بين طلاب الامتياز من المجاهدين وبين المجاهدين في سبيل الله

لقد كان لذلك الصف كثير العدد، جذر في أُحد. ومن زمان لم يلتزم الأشخاص الّذين أمرهم رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بحراسة سفح الجبل، بأمر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وتركوا السفح من أجل جمع الغنائم ولم يعلموا أنّ العدو كان يريد النفوذ إلى داخل المسلمين المنتصرين، وفضّلوا الفرار بعد سماع إشاعة العدو في ان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قتل. وثبت عدد من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" مثل علي بن أبي طالب "عليه السلام" فحافظوا على حياة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" واستمرار النهضة الإسلامية. حتى زمان اعطاء النبي "صلى الله عليه وآله" الغنائم للمؤلفة قلوبهم واعتراض الّذين تركوا سفح جبل أُحد على سهمهم فقال النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لهم: "انّي أعطي قوماً تالّفاً وأكلكم إلى إيمانكم" وقد التزموا الصمت في ذلك اليوم، ولكنهم ذاقوا طعم الدنيا عند تغيير سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد رحلته فوضعوا اقدامهم في ساحة جبران ما فات!! ووقفوا بوجه عدل علي "عليه السلام" والعودة إلى سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" كي يدافعوا عن الأموال والابل المنهوبة. وفي كربلاء كانوا يطمعون بنهب خيام آل الله، وتعكس أفعالهم في انتزاع الاقراط بالقوة من الآذان وقطع الأصابع من أجل سلب الأختام، يوم عاشوراء الطمع الذي بدأ من سفح أُحد.

وكان لدى الزعماء طمع أكثر، وقد جمعهم في تلك الساحة الطمع في حكم أقاليم البلاد الإسلامية. وكل ما كان، على أي حال، كان حب الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة وانحراف.

وكان الصف الآخر يعرف رذالة جيش يزيد، فارتدى ملابس بالية كي لا تُنهب ملابسه ونزع الحلي من الأيدي والآذان والرقاب كي لا تُنتهك حرمة آل النبي "صلى

الله عليه وآله وسلم" من قبل جيش يزيد. وفي ذلك اليوم هجم طلقاء رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" على من طهّرهم الله من الخبث والسوء كي ينهبوا أهل بيت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم". أهل البيت الّذين نُهبوا بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بفقد "فدك" ولم يكونوا من أهل الدنيا حتى يكون لديهم شيء للنهب. وكانت فدك هبة رسول الله التي نُهبت.

كان يحفرون آباراً ويقومون بوقف مائها الفوار ويوزعون تمور بساتين النخيل على الفقراء. ولا يعود سائل يطرق باب بيت هؤلاء الناس من أهل المروءة، خالي اليدين. لقد مدحهم الله تعالى، حينما أعطوا حطام افطارهم القليل للسائل ثلاثة أيّام.

لقد كانت أنفسهم وأموالهم ووجودهم فداء للاسلام. وكان يكفيهم رضا الله تعالى، وقد طلّقوا الدنيا ثلاثاً، وكانت الدنيا عندهم أقل من عطسة عنز، إلاّ لأخذ الحق واجراء العدالة.

وفي كربلاء جاء الّذين تركوا سفح اُحد في صف أصحاب يزيد لمحاربة ابن علي (عليه السلام) الذي اُصيب في معركة أحد بأكثر من تسعين جرحاً دفاعاً عن حريم رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وزرع اليأس في قلب العدو من الوصول إلى رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم". وأتى إلى ساحة كربلاء أولاد أصحاب الجمل وصفّين لمواجهة ابن علي "عليه السلام" لمتابعة نهج آبائهم في نهب الأموال والابل والحيلولة دون قطع هذا النهج بيد الحسين بن علي "عليه السلام". وكان أولاد تاركي سفح اُحد وأمر رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" في الصف المقابل للحسين "عليه السلام"، ويريد اولئك الّذين حصلوا على مكاسب في حريم الخلافة المغصوبة المحافظة على تلك الغنائم بأية وسيلة وبذريعة إيمانهم. ولم يكن هؤلاء متعلّقين بالدنيا منذ البداية. وقد قدموا تضحيات كثيرة في الدفاع عن حريم الإسلام، مثلما كان هكذا أصحاب قبلهم مثل طلحة والزبير، فطلحة والزبير لم يكونا شخصين مجهولين ولم يذهبا من البداية وراء المال والدنيا. ولم يعلم اولئك انّ المحافظة على الإيمان والجهاد في سبيل الله، أصعب من الفتح وقد فشلوا في ساحة

الجهاد الأكبر مع النفس. وحين اقبلت عليهم الدنيا عن طريق خلافة عثمان وتوزيع بيت المال عليهم واُعطوا أسهماً أكثر من الآخرين من بيت المال بوصفهم صحابة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، لم يعلما ماذا عليهم أن يفعلوا؟ وكيف يديروا ظهورهم للدنيا ولا يدخل حبّها في قلوبهم؟ ويظلوا يستفيدون من الدنيا في حدود الضرورات ويقدّموا الدين على الدنيا في وقت الاختيار. لقد ذهب إيمانهم أدراج الرياح بسبب الثروة الحرام.

وكان اولئك يأخذون ما يحصلوا عليه ويكدّسونه!! أما علي "عليه السلام" فكان يزرع النخل ويوّزع ثمار بستانه الذي زرعه بيديه. وكان اولئك يعتبرون بيت المال غنيمة لجهادهم ولم يعملوا في مجال الاعمار، أما الإمام علي "عليه السلام" فكان يحفر آباراً ويمسك القلم ويقوم بوقفها. ورفض أبو ذر الذي نُفي إلى الربذة عطاء معاوية وعثمان كي يتمكن من مسك عظم وضرب رأس المستشار اليهودي لعثمان به ويكون لسانه طليقاً في الاعتراض على ناهبي بيت المال، أما رواد الجهاد بالأمس فكانوا يصرون على مقدار توزيع بيت المال كي يحصلوا على حصة أكثر!! ولمّا تولى الإمام علي "عليه السلام" الحكم جعل أسهمهم من بيت المال مساوية للآخرين ووعد في أول خطبة له باعادة المنهوب من بيت المال ولو من صداق النساء، فأصبح هؤلاء أمام اختيار الحق أو الدنيا، علي أو المال والذهب الذي اكتنزوه، ويتطلب اختيار الحق وعلي "عليه السلام" قلباً شجاعاً، وقد بدّل اولئك خلال سنين من التنعّم، قلوبهم الشجاعة إلى قلوب مكارة وجبانة نتيجة حب الدنيا. وفقدوا في ساحة الاختيار، القدرة على اختيار الإيمان والآخرة وعلي "عليه السلام" وأوقعتهم حلاوة القصور والغلمان والذهب والابل والغنم الكثير في منحدر السقوط ولم يكونوا رجال عودة، فقد سدّ الشيطان بوجههم طريق العودة بمهارة. انّ التخلي عن حلال الدنيا وعدم التلوّث بحرامها هو صفة رجال ساحة الجهاد مع النفس. والاستفادة من الدنيا وعدم التعلّق بها هي خصلة الّذين يتجنبون مواضع الشبهة. وهناك من يزعم أنّه يتمكن من عدم التعلّق بالدنيا رغم التشبث بها ويتخلى عنها عند

الاختيار بعد تذوق طعم المناصب والشهرة والطعام والقصور، ولكن ماذا يقولون بشأن هذه العبر؟ وهل ان إيمانهم وجهادهم أقوى من طلحة والزبير وأمثالهما؟ وكيف يطرح هؤلاء هكذا زعم في حين أن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" دعا ذات يوم إلى إبعاد ستارة ملوّنة عن نظره لأنها تذكّره بالدنيا؟ ان عدم التلوث بالدنيا صعب جدا، ومن طلّق الدنيا ثلاثاً، لمس مشقة ذلك وكان يصف للمؤمنين في خطبه الدنيا ومكرها بوصفها خطر عظيم.

وفي ساحة كربلاء وقف أسلاف الّذين نهبوا بيت المال ومحبّو زينة الدنيا امام اختيار الحسين "عليه السلام" أو خلافة الري، اختيار الحسين "عليه السلام" أو أكياس الذهب التي كان يوزعها يزيد، اختيار الحسين "عليه السلام" والاستشهاد أو يزيد والعيش عدة أيام أكثر في الدنيا. وفي كربلاء ظهر جميع المتعلّقين بزخارف الدنيا مثل زبد على الماء ووقفوا في مواجهة ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وكان اختيارهم سيئا ولكنه كان نتيجة طبيعية لتلوثهم بالدنيا واليوم أصبحوا عبرة لمن ينظر إلى عاشوراء.

عاشوراء، تجلّي عودة القاعدين بالأمس

وعدم الأكفّاء حالياً إلى الحكم

في أحد جانبي الساحة، ظهر العناد والبغض الجاهلي من مقعد الحكم، ووقف الأعداء لاراقة دم الحسين بن علي "عليه السلام" وأصحابه الأوفياء، انتقاماً لدماء اخوانهم وقومهم الذين قُتلوا في ساحة الدفاع عن الشرك والجاهلية بأيدي رواد التوحيد وطلائع الحضارة الإسلامية. ولم يكن ذلك الحب والبغض من أجل الله، بل كان حبّاً وبغضاً نشأ من باطن خبيث وعاص لله تعالى ورسوله. ومنذ أن أقرّ أبو سفيان بالإسلام مضطراً، كان اولئك يسعون خطوة خطوة للوصول إلى السلطة المركزية الإسلامية والانتقام من الإسلام بعد أن حُطّمت الأوثان وفقدوا ملذاتهم الجاهلية.

وحينما تمكنوا من غصب منصب خلافة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" نتيجة سذاجة وغفلة وانحراف وتشتت الأُمّة الإسلامية والحكام الغاصبين، وتبديل الخلافة والولاية إلى ملكية، قرروا قتل حارس الولاية والمحافظ على معطيات بدر وأُحد والخندق بأفجع وضع. لقد كان بغضهم لآل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، مثل بغض "هند آكلة الأكباد" لحمزة سيد الشهداء "عليه السلام"، ذلك البغض الذي دفعها إلى اخراج كبد حمزة "عليه السلام" من صدره وأكله لتهدئة عنادها الجاهلي. وقد أظهر اولئك نفس البغض بقطع رأس ابن فاطمة الزهراء عليها السلام ومرور الخيل على بدنه، وقد فاتهم أن بغض هند لم يقلل من انتصار الإسلام وكان هجوم الخيل على أبدان أعزّاء الزهراء، ضمانة للاسلام ودفع البغض والعناد الجاهلي، الأمويين إلى مسك زمام الخلافة وارواء ظمأ قلوبهم المليئة بالخبث والشرك بدماء بضعات الإسلام المحمدي، بعد سنين من الظمأ الشيطاني.

واتضحت جميع مظاهر هذا البغض والعداوة الجاهلية بعد انتهاء واقعة عاشوراء ووضع الرأس المقدس للحسين "عليه السلام" في دار خلافة المسلمين من قبل يزيد الذي قام بضرب ثنايا الإمام بعصا الخيزران وهو يقول:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

لقد بدأ البغض والعداوة والحسد من بذرة في قلب الأمويين وانتهت إلى نتيجة مؤلمة مثل كربلاء، وهذا السلاح المخفي للشيطان والنفس الخبيثة يستخدم هكذا ويؤدى إلى تلك النتيجة.

أي القلوب لا تبغض ولا تعادي شوقاً إلى المناصب والامتيازات أو حقداً وحزناً على فقدانها؟! وتسعى بظاهر جميل إلى إرواء التعطش إلى السلطة واطفاء النار المحرقة للانتقام. ولو وقع القضاء في ذلك اليوم، فهو يوم فشلهم بصورة تامة وغلق باب رحمة الله تعالى بوجههم ورؤية الأيدي خالية من الماء الذي كانوا يظنون رؤيته في الكفوف. وقد رآى يزيد أنّه فقد كلّ شيء في نهيب خطبة الإمام السجاد "عليه السلام" وزينب "عليها السلام" وخسر دنياه بأسوء شكل.

ولا يرى عوام الناس باطن أولئك وتستهويهم السوابق والشعارات الجيدة. ويضحّون بدينهم من أجل الاحقاد الخفية للأصحاب العائدين إلى الجاهلية. ويظنون أنهم جاؤوا إلى الساحة من أجل الإسلام والمسلمين!! وأي دين لم يبع من أجل مشهد عصا خيزران يزيد التي ضرب بها ثنايا الإمام الحسين "عليه السلام"؟!

وأما في الجانب الآخر من الساحة، فكان هناك أشخاص قليلون، كلهم رأفة بالناس وحريصون على هدايتهم، خرجوا من الخندق ولم تخرج سيوفهم من الأغمدة، إلاّ في سبيل الله وأداء التكليف، وصقلوا السيوف ووقفوا في الصف ليحافظوا على دين الله. وحافظوا على اتقاد مصباح الهداية الإلهية، وليصنعوا من عاشوراء وكربلاء مصباح هداية وسفينة نجاة لأبدية التاريخ وكل الأجيال. ويعرّضوا أبدانهم إلى جروح السهام والرماح والحجر والسيوف وحصار حقد الامويين كي تروى أرواحهم من زلال كوثر هداية ورحمة الله.

كانوا نقطتين متقابلتين، سفلى وعلياء اولئك يريدون الانتقام، وهؤلاء يريدون الرحمة، اولئك يبغون الظلمة، وهؤلاء يبغون النور، ذلك الصف حاقد، وهذا الصف رحيم، ذلك حريص على الدنيا، وهذا يطفح بالشوق إلى الحبيب، تلك الفئة، تفخر بالأجداد المشركين والفاسدين، وهذه الفئة تفخر بأجدادها المعصومين والمطهرين من كلّ سوء وخبث. تلك شجرة خبيثة، وهذه طيّبة ومرتبطة بـ "كلمة الله هي العليا" ويا لها من مواجهة لمن يعتبر ويطلب الحق!

إنّ الّذين يهزمون ذات يوم أمام الحق، يسعون دائماً إلى إضاعة الحق في يوم ما بأقسى شكل ويتجهون بدهاء إلى خط النفوذ، وهذه هي تلك العبرة العظيمة.

"أجل، كان الأمس، يوم امتحان إلهي وقد مضى، وغدا امتحان آخر سيقع، وأمامنا جميعاً يوم حساب أعظم.

وليعلم الّذين تهربوا لأي سبب كان عن اداء التكليف العظيم في هذه السنوات من المواجهة والحرب وأبعدوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم والآخرين عن نار الواقعة، أنهم تهربوا من التعامل مع الله وألحقوا بأنفسهم خسارة وضرر كبير وسوف يتحسرون على ذلك في اليوم الآخر وفي يوم الحساب. وادعو مرة اخرى جميع الشعب والمسؤولين إلى أن يفرقوا بين أمثال هؤلاء الأفراد وبين المجاهدين في سبيل الله، ولا يسمحوا لهؤلاء المدّعين عدم الاكفاء اليوم والقاعدين قصيري النظر بالأمس، بالعودة إلى الساحة.

إنني سواء كنت بينكم أو لم أكن، اوصيكم جميعاً ان لا تدعوا الثورة تقع بيد غير اللائقين والأجانب. ولا تدعو رواد الشهادة والدم، يُنسون في منعطفات حياتهم اليومية"(١).

---

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره".

كربلاء، مكان اجتمع فيه الّذين نقضوا بيعتهم للإمام الذي دعوه للمجيء اليهم

في جهة من الساحة اصطف الّذين نقضوا بيعتهم، أمام الشخص الذي لبّى دعوتهم. وقد عرض الإمام الحسين "عليه السلام" عليهم في تلك الساحة، الرسائل التي كتبوها لدعوة الحسين "عليه السلام" ونادى بأسماء كبارهم واحداً واحداً وقال: ... وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم انّكم لا تسلموني ولا تخذلوني ولم تكن لدى اولئك الّذين نقضوا بيعتهم رؤوساً كي يرفعوها ولا عيوناً كي ينظروا إلى سلالة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ولا غيرةً وحميّةً كي يحافظوا على العهد ولا يجلبوا العار لأنفسهم. ان كثيراً من الناس يعرفون عهدهم ويعرفون مسؤولية نقض العهد أمام الناس وأمام الله تعالى، ولكنهم إما مرعوبون أو مجذوبون. وكانت الفترة الزمنية قصيرة بين قيام عبيد الله بن زياد بجمع زعماء القبائل في الكوفة ودعوتهم إلى نقض عهدهم مع الحسين "عليه السلام"، فقبل ذلك بعضهم نتيجة الترغيب بالمال والخلافة والامارة، وقبل بعض آخر نتيجة التهديد بالقتل والسجن والتعذيب، وبين اليوم الذي شاهدوا رسائلهم وهم أمام ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولكنهم قطعوا مسافة في هذه المدة القصيرة تعادل الاختلاف بين الجنة والنار. ويا له من سقوط وهبوط مرعب! انّ الّذين يفقدون عقيدتهم وبيعتهم أمام كر وفر القوى، ويتراجعون أمام منادي الحق ويخافون على المال والنفس، يفقدون القدرة على أن يقولوا "لا" للمتغطرسين والأثرياء ويسيرون دائماً في طريق الخيانة والعار والفساد والخبث.

وهذا هو المصير المحتوم للذين تستهويهم الدنيا والّذين يخضعون أمام المتغطرسين المستكبرين، من كربلاء حتى يوم القيامة.

وهذا هو مصير الّذين ترتعش أيديهم وقلوبهم عند عرض باب حديقة الدنيا وتعمى عيونهم وقلوبهم حين رؤية فخفخة وأبهة النبلاء. واختار الّذين ارعبهم المال

والقوة، الدنيا على الآخرة ونقضوا العهود ولحقهم العار منذ ان استقطب مال قارون اهتمام قوم موسى "عليه السلام" حتى زمان كسر الذهب بالفؤوس من قبل بعض صحابة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" لتقسيم الذهب على الورثة. ومنذ ان كان علي "عليه السلام" يعلن ضجره من عدم وفاء أهل الكوفة ومواجهة الحسن بن علي "عليه السلام" هذا النقض في العهد وعدم الوفاء واضطراره إلى الصلح مع معاوية وحتى اليوم الذي اصطف أهل الكوفة طمعاً بولاية الري وامارة المدن والقرى والحصول على عطايا يزيد.

وهكذا اشتهر أهل الكوفة بصفة عدم الوفاء ونقض العهد وعدم المروءة.

وأما الصف المقابل الذي كان منذ بداية الهداية الإلهية، يريد السلطة من أجل إحقاق الحق وتوزيع بيت المال على الأُمّة بالتساوي، سمع في يوم بيعة أهل المدينة لعلي "عليه السلام" قوله لابن عباس: ما قيمة هذا النعل؟ فقال: لا قيمة لها. فقال (عليه السلام): والله لهي أحب اليّ من إمرتكم، إلاّ أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً. واصطف ورثة هذا النهج والسيرة في كربلاء للدفاع عن جميع القيم التي تمثل حصيلة جهاد الأنبياء والأئمة عليهم السلام، امام من أرعبهم وجذبهم التاريخ. وكان هؤلاء يعلمون انّ الباطل زبد له ضجة كبيرة، ولكن استمراره قليل جداً. ولا يخدعهم ضجيجه ودعايته ولا يستقطبهم تظاهره وعرض ماله. وهم ثابتون في سبيل الله وباقون على بيعتهم مع ربّ العالمين، ويعلمون أن ﴿ماعندكم ينفذ وما عند الله باق﴾[1].

"ادعو الله ان لا يأتي يوم تكون فيه سياستنا وسياسة مسؤولي بلدنا، هي التخلي عن الدفاع عن المحرومين والاتجاه إلى دعم الاثرياء ويحظى الأغنياء والأثرياء باعتبار واهتمام أكثر. معاذ الله، فهذه لا تنسجم مع سيرة الأنبياء وأمير المؤمنين والأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

---

(١) النحل: ٩٦.

وساحة العلماء منزهة من ذلك ويجب أن تبقى منزهة إلى الأبـد... ولمـا كانـت إزالة الحرمان، طريقتنا في الحياة، فإنّ ناهبي العالم لم يتركونا وشأننا في هذا المورد أيضاً..."(١).

عاشوراء ساحة اختبار الخواص والعوام

في أحد جانبي الساحة، كان هناك أفراد عوام يصدّقون ما يسمعونه، وينكرون ما يرونه! لا يحللون القضايا وليست لديهم رؤية يشخّصون على ضوئها الحق والباطل.

لقد تحرّك هؤلاء وراء الشخصيات والخواص منذ حادثة السقيفة. ووضعوا الحق في ميزان الشخصيات، بدلاً من تقييم الشخصيات على أساس الحق. وفـي معركـة الجمل وصفّين والنهروان حدّقوا النظر بالأسماء والرايات وتحركوا وراء الّذين كانوا يوماً في صف أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ووقفوا أيـام حكـم الإمام علي "عليه السلام" بوجه الحق المتجسد والعدالة المحضة يطالبون بدم الخليفة الثالث. وكانت مشكلة الخواص الّذين وقفوا بوجه الحق، هي ان دنياهم ضاقت في أيام الحكم العادل للامام علي "عليه السلام" وأصبحت أسـهمهم مـن بيـت المـال، متساوية مع الآخرين. ورفعوا راية المطالبة بدم الخليفة، غطاء لنيّـتهم ودواء لجـرح دنياهم، وضحى العوام بأنفسهم وأموالهم مخدوعين بمعاويـة وعمـرو بـن العـاص وأصحاب الجمل والجباه السود لجهّال النهروان. وفي يوم عاشوراء اصـطف عـدد كبير من العوام أمام ابن رسول الله وفلذة كبد فاطمة الزهراء "عليها السلام" بكل مـا لديهم من رماح وسيوف وحجر، وكان فيهم خواص كـانوا يعرفـون الحـق جيّـداً وكانوا يعرفون المكانة الرفيعة للحسين بن علي "عليه السلام". وشاهدوا تعامل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" معه، وسمعوا كلام ووصايا النبي "صلى الله عليـه وآلـه وسلم" في حقّ ولده، ولكن الدنيا والطمع بحكم الري وبلاد العالم الإسلامي أعمـى عيونهم. وجرّوا وراءهم أعداداً كبيرة من العوام للوصول إلى دنياهم الحقيرة وأهدى

---

(١) رسالة سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" إلى حجّاج بيت الله الحرام.

العوام آخرتهم لهؤلاء الخواص طلاب الدنيا من دون أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير وأصبحوا سلّماً لملذات اولئك التي لم تستمر طويلاً.

وعندما اجتمع شيوخ الصحابة بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وتزامنا مع مراسيم تكفين ودفن خير عباد الله، كي يستولوا على الحكم ويضعوا الحجر الأساس لبناء انحراف المجتمع الإسلامي، اقتدى اولئك العوام بزعمائهم وشهروا سيوفهم دفاعاً عنهم. وحين نشر معاوية أخباراً كاذبة معتبراً عليّاً "عليه السلام" قاتلاً للخليفة الثالث ومطالباً بدمه، اجتمع العوام في جيش كبير حول قطبي المكر في القصر الأخضر في الشام، معاوية وعمرو بن العاص ووضعوا اقدامهم في الطريق الذي تحولت فيه الخلافة إلى ملكية وتولى الأمويون الحكم.

وكنا رأينا ذلك في الجمل وفي النهروان أيضاً، وشاهدنا ذلك في المواجهة بين الإمام الحسن المجتبى "عليه السلام" وبين معاوية، وفي كربلاء عُرضت أمام التاريخ ذروة تبعيتهم للخواص المخدوعين والمتعلّقين بالدنيا. وتبدأ الخيانة من الخواص، ويسري الفساد من الرأس إلى الجماهير ويضحّي العوام بآخرتهم ودنياهم من أجل تقوية بناء خيانة الخواص وفسادهم.

وبعد استشهاد الإمام علي "عليه السلام" سأل اولئك بعضهم الآخر: "هل كان عليّ يصلّي؟"، "ماذا كان يفعل عليّ في المسجد؟" وخاطبوا الإمام الحسن المجتبى "عليه السلام" بعبارة "يا مذل المؤمنين"، وبعد واقعة كربلاء، تحيروا عند سماع صوت القرآن ورؤية صلاة السبايا الّذين سُمّوا بالخوارج! وتساءلوا ما علاقة الخوارج بالقرآن والصلاة!! واستيقظوا فجأة بعد خطبتي زينب "عليها السلام" والإمام السجاد "عليه السلام" وأدركوا أنّهم أصبحوا بيتاً خرباً حين اعتبروا حريم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" خوارجاً؟

وفي الجانب الآخر من الساحة، رضي جميع الخواص الموالين للحق الّذين لم يترددوا لحظة في الاختيار بين الدنيا وابن رسول الله، فضحّوا بالدنيا من أجله كي يحافظوا على دينهم، أن يلتقوا برسول الله بأبدان مقطّعة، ولكن بوجوه بيضاء ولم

يتعلّقوا بملذات الدنيا الزائلة كي لا يكونوا خاسرين غداً في محضر الله تعالى. وكان كلّ من يبرز منهم إلى ساحة القتال يرتجز ويعرّف بنفسه ثم بسيّده سيّد شباب أهل الجنّة، كي يعلم الجميع من الّذين كانوا حاضرين في تلك الساحة وكل من سيولد على الأرض إلى يوم القيامة أن اولئك دخلوا إلى تلك الساحة بوعي وبصيرة وأدراك عميق. وكانوا يعرفون مولاهم جيّداً ويعلمون أهدافه، ويعرفون العدو المقابل جيّداً ويعلمون انّ السلطة والدنيا سوّدت قلبه وهام عقله بلذتها. كانوا يسبحون في بحر العدو ويرون الحياة في الشهادة وكانوا يعلمون أن "الدم ينتصر على السيف". وكانوا يتمنّون لو أُحيوا عشرات المرات وضربوا بالسيوف دفاعاً عن الحسين "عليه السلام" وقُطّعت أبدانهم. لقد كانوا يرون رضا الله، في حب الحسين "عليه السلام"، لا في خيام ابن معاوية وولاية البلاد والدراهم والدنانير التي توزّع من بيت المال. لقد كانوا كلهم خواصّاً ويدركون ما اختاروه ولم يكن بينهم من لا يعلم ماذا يفعل وفي أي طريق يسير. وتوضّح عاشوراء انّ الخواص يجب أن يعرفوا دورهم ويؤدوه بصورة صحيحة. وهم مكلفون بالنظر إلى الحوادث ببصيرة واتخاذ القرار الصحيح وفي الوقت المناسب والتخلي عن الدنيا في الوقت اللازم والسعي والعمل في سبيل الله في اللحظة الضرورية كي لا ينجذبوا إلى قافلة الّذين أضاعوا الطريق، ولا يرعبهم المتغطرسون من طلاب الدنيا، ولا يأتوا إلى الساحة في وقت لا يكون لمجيئهم أي نفع لجبهة الحق.

"الخواص هم الّذين يعملون ويتخذون المواقف ويختارون الطريق على ضوء الفكر والتحليل، انّهم يفهمون ويحللون ويعملون، هؤلاء هم الخواص.

والعوام في النقطة المقابلة. فالعوام هم الّذين يسيرون في الاتجاه الذي يسير فيه الجو العام، من دون أن يحللوا... فحينما دخل مسلم إلى الكوفة، قالوا جاء ابن عم الإمام الحسين عليه السلام، وجاء بنو هاشم، فاذهبوا إليهم، انّهم يريدون أن يثوروا، ويجري التعريف بهم.

وبايع مسلم حوالي ثمانية عشر ألف شخص. وبعد خمس أو ست ساعات جاء رؤساء القبائل إلى الكوفة، وقالوا للناس ماذا تفعلون، مع من تريدون أن تقاتلوا، وعمّن تدافعون أنّهم سيفعلون بكم كذا وكذا. فذهبوا في البداية إلى بيوتهم، وبعد أن أحاط جنود ابن زياد ببيت طوعة لاعتقال مسلم، جاء اولئك لمحاربة مسلم. ولم يكن ذلك على ضوء التفكير، ولم يكن على ضوء التشخيص، ولم يكن على ضوء التحليل الصحيح"[1].

عاشوراء صوت رفيع القدسية وانتهاك الحرمة

شوهد رجل يأخذ قفلاً من متجر، فقيل له: ماذا تفعل؟ قال: أطبّل فقيل له: لماذا لا نسمع صوتاً؟ قال: سيخرج صوته غداً.

ان ما وقع في كربلاء كان صوت طبل صدر من قبل قُطّاع طرق تفكير الناس، حينما رفعوا القفل عن قدسية الولاية وأحكام الله. وباستثناء قليل من الذين يخشون الله وشملتهم رحمة الله، لم يعلم شخص في ذلك اليوم، ما هو صوت انتهاك القدسية، وكانت عاشوراء صوت هتك القدسية وانتهاك الحرمة.

لقد رآى المنافقون والحسّاد والخناسون انّه لما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتوضأ، لم يكن ماء وضوئه يسقط على الأرض، فقد كان المؤمنون يأخذون قطرات الماء ويمسحون بها رؤوسهم ووجوههم أو يشربونها، تبرّكاً.

ورأوا كيف كان الإيمان الراسخ للمؤمنين يحبس النفس في نحر الكفر ويؤدّي بالكفر إلى الهزيمة أمام الإسلام، ورأوا كيف يقول المؤمنون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، "لا" لعالم المال والشهوة ويجدون عزّتهم في "طاعة" الله، ولا يهتمون بالعروض ويضربون أيدي الذين يقدّمون العروض.

ورأوا منزلة وقدسية "أهل البيت" في أنظار الناس.

---

(١) آية الله الخامنئي، فرقة ٢٧ محمّد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".

ورأوا تقبيل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ليديّ الزهراء (عليها السلام)، وسمعوا خطابه لها بعبارة "أُم أبيها". ورأوا الحسن والحسين (عليهما السلام) على كتفي النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكانوا يعلمون أنهما سيّدا شباب أهل الجنّة. وسمعوا مدح أمين الوحي لأهل البيت وينزل بآيات التطهير والاطعام والصدقة في الركوع في مدحهم.

ورأوا انّه كلما وقع الإسلام في شدة واقترب انتصار الكفر، كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يرسل علياً "عليه السلام" إلى الساحة وتعود القضية، فيحزن الكفر ويفرح الإسلام والمسلمون.

فماذا يفعلوا؟ وكيف يخمدوا نار حسدهم وبغضهم؟

وبدأوا منذ أن قالوا عند رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إن هذا الرجل يهذي. كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يريد قلماً كي يكتب وصيته في الوصي بعده. وكان تهمة الهذيان أول سهم رُميت به علناً حرمة القدسية النبوية. وكانوا سابقاً سعوا إلى الاعتراض مراراً من خلال عدم الطاعة والوسوسة بين المؤمنين ولكنهم لم يتجرؤوا على الاهانة.

وهدموا أول حاجز ولم يضرب شخص، المعتدي على فمه.

وغصبوا فدكاً من بنت النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولم يعترض شخص. ومنعوا رواية حديث النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وغيّروا أحكام الله، ووضعت آلاف الأحاديث ونُشرت، ولم يعترض أي شخص. وأُخذ الإمام علي "عليه السلام" إلى المسجد عنوة لأخذ البيعة ولم تُسلّ السيوف من أغمادها.

وأضرمت النار في باب بيت بنت رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها وصُفعت في وجهها، ولم تتحرك حميتهم. والعجيب ان جميع تلك الخطط استهدفت حرمة الولاية. وبدأ سبّ أمير المؤمنين علي "عليه السلام" على منابر ذوي معاوية ولم يتعرض لهم أي شخص. ووجّهت اهانة إلى الإمام الحسن المجتبي "عليه السلام" ونال من قام بذلك جوائز وتمت

ترقيتهم إلى مناصب أعلى. وهدمت الحواجز واحداً تلو الآخر إلى ان حوصر مركز الولاية، الحسين "عليه السلام" في أرض كربلاء، من قبل الأعداء.

لقد كان سبب معارضة اولئك لقدسية هذه الشخصيات الأُسوة في الهداية الإلهية لأنّها كانت تسد الطريق بوجه نهب أولئك، ولـذلك افتعلـوا ذرائـع لانتهـاك تلـك القدسية. ولم يكن اولئك معارضين "للقدسية" حتى يعارضوا "قدسة هـؤلاء"، وانّمـا كانوا يريدون من وراء انتهاك القدسية، رفع شأنهم. انّ الذين ينتهكون قدسيته الدين يضعون أنفسهم وطريقهم وفكرهم في مكانة أرفع مـن التـي انتهكوهـا ويحيطـون أنفسهم بقدسية أرفع من التي انتهكوها، كما فعـل ذلـك معاويـة ويزيـد وكـذلك الغاصبون الأوائل. واليوم حين تظهر امرأة متدينة بحجاب في اوربا التي تعتبر مهـداً للحرية في الظاهر ترتفع أصواتهم اعتراضاً على الاعتداء على حرمة الإلحـاد!! فهـم يعتبرون الإباحية مقدمة، ويرون كلّ التزام ديني تجاوز على مقدساتهم!! إنّهم يصرون بحمية وتعصب على أفكارهم، ونحن نضحي بمقدساتنا الإلهية، مـن أجـل رغبـات اولئك، نتيجة السذاجة والغفلة، كي نشاهد ابتسامتهم الكاذبة على وجوههم الكريهة!! يالها من حماقة.

انّ المقصود من طرح "هتك القدسيّة" تغيير القيم وليس الغائها.

فقد سمّوا الحسين "خارجياً" كي يقولوا أن يزيد "إماماً عادلاً". وسعوا إلـى عـزل الأحكام الإلهية كي يحلّوا محلّها مقررات وأكيـاس ذهـب قـصر الـشام الأخـضر. وأرادوا إبعاد "عبودية" الله، كي يضعوا طوق الخضوع للطواغيت في الأعناق. وهذه هي عملية إحلال قيم محل أُخرى. ويقوم أصحاب الأقلام المأجورة والألسن الماكرة بالسيطرة على بوابة العقيدة كي يؤمّنوا مصالحهم ومصالح أسـيادهم ـ انهـم أُجـراء وعملاء ومخدوعون ويتبعون أهـواء أنفـسهم، وجهّـال وتلاميـذ معلمـين ضـالّين، وكثيرهم الذين على استعداد لبيع أقلامهم وألسنتهم بثمن بخـس، مثلمـا انّ الـذين باعوا دينهم ليزيد، لم يكونوا قليلين.

ويقولون: لا يوجد في العالم حق مطلق وباطل مطلق! كـي لا تبقـى ايـة حميّـة وغيره مقدّسة وغضب ثوري.

ويقولون: ان التقدس خلاف للعقل والعلم!! ويرون ان العقل والعلم همـا اللـذان لديهم ولدى أمثالهم، من أجل أن تصبح تعاليم الوحي منزوية.

ويقولون: انّ الدين هو علاقة شخصية مع الله والهدف منه نيل الآخرة ولـيس لـه دور في الدنيا؟ ولتكن الدنيا بيد عقلاء القوم، والآخرة بيد العلمـاء!! ويريـدون مـن خلال ذلك أن تصبح السلطة تحت تـصرفهم ثـم يوجهـوا الـدين والعلمـاء وفقـاً لأهوائهم مثل دنيا الناس وهذا ما سعوا إليه في عهد النظام البهلوي.

ويقولون: ما هو معنى الحدود الفكرية والأخلاقية؟ انّ المطلوب أن يعيش الجميع معاً، وهذا لا يمكن إلاّ بالتسامح والتساهل، أي غض النظر عن اجراء الأحكام الإلهية وعدم مواجهة المفاسد!!

ويقولون: انّ الولاية هي وكالة، اذن فهي محدودة بفتـرة زمنيـة معينـة وبامكـان الموكّل أن يعزل وكيله متى ما أراد!! كي تصبح الولاية منصباً أرضياً وتُلغى جوانبها الإلهية، كي يتم تغييرها بأهوائهم ويُبّرر تولّي يزيد وأمثاله الحكم!!

وهناك عشرات من هذا القبيل من الأقوال التي تحمل تناقضها فـي داخلهـا مـن جهة، ولا يشاهد في عالم الواقع هذا النوع من التفكير في الحكومات التـي يُـستمد منها. لقد أنكر هؤلاء، الله تعالى، وأحلّوا محله الإنسان وقدّسـوه، وأنكـروا الـوحي، وعبدوا العلم وأنكروا العقل الإلهي، ورسّخوا البطن والشهوة والظلم والحرس وعدم الأمن والفساد في أعماق المجتمع والعوائل باسم العقلاء، حتى وصـل الحـال إلـى مرحلة مثيرة للقلق، وقدّسوا الأحكام والمقررات التي اصطنعوها وضـربوا بوحـشية كلّ من رفضها!

ويخطط الذين يريدون انتهاك الحرمة بـسعة صـدر، فهـم يزرعـون اليـوم كـي يحصدوا بعد خمسين سنة. ويبدأون من أمور صغيرة فـي الظـاهر ويختبـرون ردود

الأفعال ثم يخطون خطوة لاحقة. وإذا لم يواجهوا بمقاومة وحمية جادة وقوية فإنهم يتقدمون حتّى يصلوا إلى الهدف.

انّ عاشوراء كانت مشهد نتج عن انتهاك القدسيات والتجاوز على حرمة العقائد وخرق الحدود. وفي زمن كانت هناك حرمة لماء وضوء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وفي يوم عاشوراء لم تكن هناك جاذبية لعمامة وعباءة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" اللتين ارتداهما الإمام الحسين "عليه السلام"! لقد كان الحسين "عليه السلام" في ذلك الزمن من "أهل البيت" ويجلس على كتف النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ويحظى باحترام الأُمة، وفي يوم عاشوراء وقف وحيداً وليس هناك من يلبّي نداءه "هل من ناصر"، وذات يوم كان حبيب والعبّاس والقاسم وزهير وعلي الأكبر وبقية أصحاب الحسين "عليه السلام"، تاجاً على رؤوس المؤمنين، وفي يوم عاشوراء داستهم خيول اولئك! وذات يوم كانوا قرة عين الأُمة، ويقضون حاجاتها، وفي يوم عاشوراء كانوا عرضة لأحجار الناس وسهامهم ورماحهم وسيوفهم في كربلاء.

وحصد يزيد والموالين له حصيلة انتهاك الحرمة من قبل أسلافهم.

وقد احترق بيدر وجود الحسين "عليه السلام" وأصحابه الأوفياء في كربلاء بنار يزيد بعد أن أشعلت شرارة ذلك من قبل "منتهكي القدسية". اللهم العنهم جميعاً.

ورداً على أبي هرم قال الحسين "عليه السلام" في الرهيمة:

"يا أبا هرم، ان بني امية شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطالبوا دمي فهربت، وايم الله ليقتلوني الله ذلاّ شاملاً وسيفاً قاطعاً".

وكانت أول خطوة لهتك القدسية بدأت بلصق التُهم والكلام البذيء والإهانة ثم الوحدة وإراقة الدم. انّ الحسين "عليه السلام" صبر أزاء الشتم كي لا يعتبر دفاعه دفاعاً عن شخصه، ولكن لماذا لم يتحرك المؤمنون كي لا تقع تلك المصيبة العظيمة؟ ولو لم يعرض سماحة الإمام الحميّة الدينية أزاء الإهانة التي وجهها المرتد سلمان رشدي ولم يصدر حكم اعدامه، لما ترك السياسيون المستكبرون شيئاً من

العقائد الإسلامية مصاناً من النهب؟ ولماذا يصرّون على الغاء هذا الحكم إلى هذه الدرجة؟

وتحاول الأقلام والأقدام الفاسدة تكرار تلك الحادثة الكبرى كي يطفئوا، حسب ظنّهم الباطل، نور الله، الذي تجلّى في ولاية الفقيه.

وعقد اتحاد الكتاب الايرانيين اجتماعاً في المانيا حضره المتغربون المعاندون المقيمون في داخل ايران وخارجها، وذلك بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيسه وأصدر بيانا جاء فيه:

"... ليس هناك شيء مقدّس في عالم الفكر! وإذا كانت ثمة قدسية فهي للنقد والشك فقط. ولا يحتاج الكلام والفكر والقلم إلى قيم. ولا يتحمل الفكر والكلام، ولاية الفقيه. والناس لديها عقول، وليسوا بحاجة إلى قائد وولي فقيه!!".

وما هي النتيجة المشؤومة التي يمكن ملاحظتها في هذه السطور القليلة، غير تكرار عاشوراء؟ وما هي حصيلة زرع بذور النفاق والشك وعدم الالتزام بالعقائد في قلوب الناس، وخاصة الشباب؟ والقيم في منطق هؤلاء، هي الحدود الإلهية وحدود الواجب والحرام ومصالح المجتمع الإسلامي والخط الأحمر للنظام الإسلامي، وإذا لم تكن للفكر والقلم والكلام، هذه القيود، فهل يحصل غير ما قام به بنو أُمية من شتم وسب للحسين بن علي "عليه السلام"؟ وهل كان هناك قيّم على كلام وفكر وقلم بني أُميّة وأصحابهم؟ وإذا أُبعد الفكر والكلام عن معيار الصحة والسقم، أي ولاية الفقيه، فأين يتوقف، وما هو ضمان إقامة الحق وإزالة الباطل في المجتمع؟ وماذا يظل من البناء الراسخ للعزة الإسلامية إذا كان كلّ شخص حرّ في أن يقول وينشر كلّ ما يريد بوصفه "فكر وكلام" وان كان تابع للنفس وملوّث بالذنب ومرتبط بالعدو؟ ولماذا تبذلون جهوداً أنتم أيّها المتغربون المعاندون، إذا لم يكن الناس بحاجة إلى قائد وولي فقيه؟ وهل أنتم قيّمون على الناس؟ ألم تطلقوا في زمان الشاه العميل شعار "سواء أمر الله أو أمر الشاه"؟ وقد أُطلق هذا الشعار من قبل ذوي الفكر المنحرف وقصيري النظر المنشقين عن الناس والمنفصلين عن محور الحق، أي

الخوارج الذين اجتمعوا في النهروان. وقد هتكوا حرمة القيادة بسوء الفهم لكلمة الحق "لا حكم إلاّ لله" وتركوا الناس في أحضان معاوية. وما هو الفريق بين كلامكم وكلامهم؟ والإنسان بين قطبين الله والطاغوت. ومن ينكر الله وحكمه في الأرض، فليس له مكان إلاّ أحضان الطاغوت، ولو كان له مكان آخر، فماذا تعملون في أحضان امريكا وبريطانيا؟

ان قدسية الولاية والقيم الإلهية الإسلامية، هي شوكة في عيون اللصوص وعظم في حنجرة الشيطان الأكبر وأذيابه في الداخل والخارج. وفي أيام حكم المشروطة حيث لم تكن الولاية مستقرة قاموا من خلال مئات الصحف والمنشورات المسائية بطرح أفكارهم حتى انتهى الحال إلى اعدام مدافع الشرعية، الشيخ فضل الله نوري أمام الناس بعد أن كانوا رأوا مجرد بارقة من قوة الولاية وقدسيتها في حكم تحريم التنباك من قبل الميرزا الشيرازي، وأدخلت بريطانيا من باب المشروطة، إلى الساحة الحرية الغربية التي تدعو إلى هتاك القدسية وهدم الحرمة، وتتم الحيلولة دون تكرار عاشوراء عن طريق المحافظة على حرمة الامور المقدسة، وان كان ثمن ذلك باهضاً. فقد كان ثمن ذلك اليوم كلّ عالم الوجود والحب والمروءة والعدالة والوفاء والصفاء والفضائل والجمال وكلّ شيء جميل.

انّ كربلاء عبرة دائماً، ويجب على اليقظين والخواص الموالين للحق والمؤمنين سد الطريق بوجه ذوي الأقلام المأجورة والأفكار والأعمال السيئة والألسنة الهتّاكة. انّ الدفاع عن القيم والحيلولة دون تغييرها يحول دون تكرار عاشوراء. ولا تقبل أية ذريعة في هذا الصدد، وان اشتد ضجيج الأعداء. مثلما انّ الإمام لم يتأخّر لحظة ولم يبحث عن ذريعة، ولم ير التأخير جائزاً حتى مع التكهن في أن هذا الحكم يتعرض إلى تشكيك من قبل عقول مريضة وضعيفة. انّ التأخير في المبادرة يلحق الضرر ويوجب سخط الله، وإذا ابتعد قلب واحد عن "المقدسات" فلا يكفي ذلك القلب عالم من الأعذار والذرائع ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً﴾، وإذا أدى تدبير الخواص ومبادرتهم في الوقت المناسب إلى اتجاه

قلب واحد إلى "المقدسات والحرمة الكبريائية" واهتدى، فإن ذلك يساوي عالماً ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا النّاس جميعاً﴾[1].

"وكان كعب الأحبار وهو يهودي حديث عهد بالاسلام، يقول المعارف للناس في ذل المجتمع. ولم ير هذا الشخص، رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"! ولم يُسلم في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"؛ وكذلك لم يُسلم في عهد أبي بكر، وأسلم في عهد عمر وتوفي في عهد عثمان.

... والأحبار جمع حبر. وحبر يعني عالم يهودي. وكان كعب هذا رئيساً لعلماء اليهود فأسلم. ثم قرر أن يتكلم في ما يتعلق بالمسائل الإسلامية! وذات يوم كان جالساً في مجلس عثمان فدخل أبو ذر، فقال شيئاً أغضب أبو ذر، فقال: تتكلم لنا الآن عن الإسلام والأحكام الإسلامية؟ لقد سمعنا هذه الأحكام من النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

وعندما تُهمل المعايير، وتضعف القيم، وتفرغ الظواهر، ويتحكّم حب الدنيا والمال في الناس الذين قضوا عمراً عظيماً وقضوا سنين في عدم الاهتمام بزخارف الدنيا وتمكنوا من رفع تلك الراية العظيمة، عند ذلك يصبح مثل ذلك الشخص عالماً في شؤون ويقول ما يفهمه ـ لا ما قاله الإسلام ـ ويريد البعض أن يقدّموا كلامه على كلام المسلمين من ذوي السابقة!"[2].

---

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) آية الله الخامنئي، الخطبة الأُولى لصلاة الجمعة.

عاشوراء، نتيجة ضعف التبعية

للقائد الذي اختاره الله

ان عاشوراء ليست مجرد حادثة، بل هي ثقافة وتيار، ولها جذر في التاريخ البعيد والقريب. ويثبت التاريخ الإسلامي المفيد في الاعتبار، منذ أن رفع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" راية الحكومة الإسلامية في المدينة، انّ الإسلام تقدم بقوة وصلابة ورفع الحواجز من أمام المسلمين وان كانت قوية، عندما كانت الطاعة والتبعية صادرة من القلب ومطلقة. وفقد المسلمون المكتسبات القيّمة الواحدة تلو الأُخرى، وساروا في منحدر السقوط حينما اغلقت القلوب باب الطاعة بوجهها وطرحت الذرائع في ظل الأفكار الباطلة والأهواء والارتباط باعداء الله.

وقال أمير المؤمنين "عليه السلام" على منبر الكوفة وهو يشكو من عدم طاعة الناس:

"... فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسّان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني انّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأُخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً؟ فيا عجبا!.. والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم! فقبحاً لكم وترهاً، حين صرتم غرضا يُرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون!"

وفي عهد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، قام الذين كانوا يشككون والذين كانوا يؤجّلون أمر الله في الجهاد إلى الشتاء ومن الشتاء إلى موسم حصاد محاصيلهم، بايذاء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" مراراً. وكان الذين يسعون في

إجراء الأمر هم الذين كان إيمانهم خالصاً ويتصفون بخضوع محض. وكان الإمام علي "عليه السلام" والأصحاب المخلصون مثل سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار ينفذون الأمر في مجال المهام والسياسات من دون زيادة أو نقصان.

وهكذا يقتضي الإيمان بالله ورسوله، وكذلك كان اقتضاء العقل السليم والتدبير الصحيح وقوام الحكومة الإسلامية في عالم الكفر والشرك والنفاق.

انّ الاعتراض على تقسيم الغنائم وايفاد الولاة وتنصيب القادة وتنصيب الخليفة بأمر الله، كانت جزء من الخلل الذي حصل في ثقافة التبعية والتسليم والطاعة، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتسليم من أعماق القلب، أزاء حكم رسوله وجعل ذلك علامة على الإيمان الحقيقي.

﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكمّوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسكم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾(١).

وفي معركة صفّين، عانى الإمام علي "عليه السلام" من هؤلاء الأصحاب ضعفاء الإيمان وغير العقلاء، في اللحظة الحساسة من المعركة وقد كان بينه وبين النصر فترة قصيرة، وذلك حينما رفع معاوية، وكان على وشك الهزيمة التامة، المصاحف على الرماح وأمر جيشه أن يصيحوا "ليحكم القرآن بيننا وبينكم". فقام المرتبطون بالعدو بإثارة الشك والشبهة في إيمان جيش الإمام. فأمرهم الإمام بمواصلة القتال لأن رفع المصاحف على الرماح كان خدعة، موضحاً إن ما رفع على الرماح هو جلد القرآن، ولكنهم لم يقبلوا بكلامه، فذكر لهم الإمام أنّه دعا معاوية إلى كتاب الله، قبل الحرب فرفض الرجوع إلى كتاب الله، وبدأ بالحرب، وقام برفع المصاحف للنجاة من الهزيمة. ولم يؤثر هذا المنطق المحكم نتيجة همهمة وافتعال الأجواء من قبل الأصحاب الذين لم يكونوا يعرفون الإمام علي "عليه السلام"، ولا باب الطاعة. فاضطر إلى القبول بالتحكيم، واختار ابن عباس للتحكيم، فرفضوا ذلك!! واختاروا

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

أبو موسى، وأصبح أبو موسى حكماً، وكان عنصراً متلوناً وساذجاً ومرعوباً ويؤثر العافية ولديه سابقة في العصيان والمعارضة، ليتباحث مع عمرو بن العاص، المكّار ويحددا مصلحة المسلمين!! وحين حكم الحكمان حكماً باطلاً وخدع أبو موسى، اعترضوا مرة أُخرى وطالبوا الإمام علي "عليه السلام" باعلان بطلان حكم التحكيم! فذكر الإمام انّه لا ينقض عهده وقراره حتى يحكم الله بينه وبينهم. فانفصلوا عنه وأسسوا فرقة الخوارج.

وتعاملوا مع ابنه، الحسن بن علي "عليه السلام" بنفس هذا التعامل، وسلكوا طريق العصيان، إلاّ عدد قليل من التابعين والمقلدين بصورة حقيقية.

انّ الحكومة ليست أمراً مرتبطاً بما يريده الأفراد البارزين والخواص. وتتولى الحكومة أمر هداية المجتمع وادارته. وهما أفضل من المصالح الفردية والفئوية. ان حكم الله وأحكامه قيّمة إلى درجة بحيث انّ الحسين بن علي "عليه السلام" ضحّى من أجلها بنفسه وأصحابه وآله، مثلما فعل أبوه وأخوه وسوف يفعل مثل ذلك المهدي الموعود "عج".

وما هو الانسجام بين تقوية الحكومة والولاية وإجراء الحدود الإلهية، وبين التشكيك في الأمر؟

وماذا تعني المخالفة لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وهو معصوم ولا ينطق عن هوى النفس؟

وماذا تعني مخالفة الولي والفرار من طاعته إذا كانت الولاية امتداد للنبوة، والولي يتّصف بالعصمة والطهارة، واختياره وتنصيبه بأمر الله؟

وماذا تعني الذرائع الهادفة إلى عدم الالتزام بسياسات الولي الفقيه وتعليماته وتوجيهاته، إذا كانت ولاية الفقيه امتداد لولاية المعصوم في الغيبة، ويتصف الولي الفقيه بالعلم والعدالة، وولي العصر "عج" حجة على الولي الفقيه وهو حجة على الأمة، وهو حافظ الدين ولا يطيع أهواء النفس ومطيع لأمر المولى؟

وما هو تبرير عدم الطاعة بصورة خفيّة وعلنية ونشر مواضيع مخالفة للنص الصريح للقيادة، إذا كان الهجوم الأساسي للعدو على ولاية الفقيه ويتركز الاعلام المعادي على أساس الحكومة الدينية؟ وإذا كانت الحجّة شرط عند الله لقبول الفكر والعمل، فأي حجّة أفضل من الولي الفقيه الذي اعتبره إمام الزمان "عليه السلام" حجّة على الناس؟

وكم كان عمل السيد عبد العظيم الحسني، حكيم، حينما كان يذهب إلى إمامه ويجلس ويذكر عقائده حتى العقائد الواضحة والمتداولة كي يحصل على اذن لدعوة الناس إلى هذه العقائد في حالة صحتها، رغم ما كان يتمتع به من تقوى وزهد وعلم واجتهاد. وكم سذج اولئك الذين يرون أنفسهم في غنى عن السيطرة على العقائد في دائرة الحكومة الإسلامية وهم لا يحملون إلاّ شيء قليل جداً من العلم! ويقومون باثارة التشويش والتفرقة في المجتمع عن طريق آرائهم كي يضطر القائد إلى تغيير المسير، إذا سمح المعاندون!!

ولقد سمعنا ان أحد أصحاب الإمام الصادق "عليه السلام" كان يصر على الإمام في الثورة لتشكيل حكومة، موضحاً انّه وآلاف مثله، أصحاب للإمام ومستعدون للأمر! وصمت الإمام ولم يجبه حتى جاء أحد أصحاب الإمام المخلصين لزيارته. فأمره الإمام بلا مقدمة بإلقاء نفسه في تنور كان في ذلك المكان وكان محمّراً نتيجة حرارة النار، فدخل فيه من دون أي سؤال. فاندهش ذلك الشخص الذي كان يدّعي انّه من أصحاب الإمام، حين رآى ذلك الإيمان الخالص والطاعة المطلقة، ونظر إلى داخل تنور ورآى الصحابي الصادق سالماً وسط نار التنور.

ولم يكن ذلك الصحابي يعلم انّ النار لا تحرقه بأمر الإمام. ولكنه كان متيقناً انّ ما يقوله الإمام لا يصدر عن هوى النفس، وكان يرى طاعة الإمام فرضاً وواجباً عليه. وذكر الإمام انّه لو كان لديه عشرة أشخاص مثله لما تأخّر.

ومن اللازم هكذا طاعة لوالي بلاد الإسلام. وما هو الشيء الذي يشكك به من يطلق شعار الحريّة والاختيار مقابل أمر القائد، أو يرى أن ولاية الفقيه لا تنسجم مع

مبادئ الديمقراطية الغربية، أو يعتبر وصاياه لا قيمة لها لنفسه وحريته؟ وما هي النتيجة التي يحصل عليها؟ ولماذا أُعتبرت الولاية محور الدين وشرط قبول الأعمال والعبادات وأُعتبرت مودّة أهل البيت وولايتهم شرطاً للنجاة والدخول إلى الجنّة؟ وهل يمكن اختبار النبوّة والولاية والفقاهة واحكام الله والحكومة الدينيّة، وممارسة الحرية والديمقراطية فيها؟ انّ التاريخ البشري هو مجال التجربة، والتاريخ مختبر السياسة، وهذه في متناول أيدينا، وعاشوراء أفضل تجربة في السياسة والحكم، وما الحاجة إلى اختبار ما تم اختباره؟

وفي صدر الإسلام، اختبر الخوارج والمنافقون والناكثون والمارقون هذه القضية، وكان الهلاك نصيبهم.

وقال الإمام علي "عليه السلام" يصف آل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم":

"هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال ديته، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه... لا يقاس بآل محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" من هذه الامّة أحد، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين"(١).

وعندما تتعرض قدسية الولاية وضرورتها العقلانية وشروط تحققها، إلى المعارضة والإنكار والشبهة والعصيان، مهما كانت الذريعة، فإن عاشوراء هي النتيجة الطبيعية لذلك. أي إمام لم يُتّبع ونداء هل من ناصر، بلا مجيب، ورمال تلوّنت بدماء أعزاء الإسلام ورؤوس حملت على الرماح، وأبدان داستها الخيول وآل النبي سبايا يُطاف بهم في المدن!

وكانت السقيفة ذروة المخالفة وقد ظهرت من خلال غصب الولاية، وكانت عاشوراء تجلياً لعدم طاعة أوامر وتعليمات وآراء رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وأمير المؤمنين علي والإمام الحسن المجتبى "عليه السلام". ولو كان الغدير

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، خطبة ٢.

جرى، لما بقي الحسين "عليه السلام" وحيداً. ولو كانت هناك طاعة للامام علي "عليه السلام"، لما وقعت حادثة عاشوراء. ولو بويع الإمام الحسين "عليه السلام" بصدق، لما تلونت كربلاء بلون الدم.

وحين دعا مروان بن الحكم، الإمام الحسين "عليه السلام" في المدينة، إلى بيعة يزيد، قال الإمام الحسين "عليه السلام":

"سمعت جدّي رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه" وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا فابتلاهم الله بيزيد الفاسق.

لماذا لم يقتلوا معاوية؟ ومَن عيّن معاوية والياً على الشام ودعمه رغم طرده من قبل رسول الله؟ وهل ان هذا الحديث سمعه الحسين بن علي "عليه السلام" فقط؟ وهل ان هذا المكان مكان للعبة الحرية وممارسة الديمقراطية؟ ومَن هم الذين يريدون احياء الشخص الذي حكم الإمام باقالته من نيابة القيادة وعدم التدخل في السياسة بسبب سذاجته وإلحاقه الضرر بالنظام ونفوذ عناصر منحرفة في مكتبه وخروجه عن العدالة، وما هو هدفهم؟ أليس هذا عدم قتل معاوية على منبر رسول الله؟ ومَن هم الذين يريدون إلغاء ولاية الفقيه من خلال الأقلام وضمن خطة منظمة، ومَن هم الذين يمهّدون لهم؟ وهل ان دائرة الولاية، دائرة لحرية القلم والبيان؟

انّ الولي الفقيه يجب أن يُقبل به من القلب ويُطاع طاعة محب، ويؤدّي انتهاك حرمته وأمره، وان كان بمقدار ذرّة، إلى هوّة في العلاقة الصميمية بين الناس والقائد ويجب الرد على ذلك. انّ الذي تحمّل جلوس معاوية على منبر رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بسبب عدائه لعلي "عليه السلام"، شريك في عاشوراء.

ومَن لم يهتم بحديث النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وسلوكه أزاء معاوية، بسبب حب الرئاسة والسلطة والدنيا التي كان يرى انّه يحصل عليها عند معاوية، فإن اسمه مسجّل في قائمة الموالين ليزيد.

فتأخّر مالك الأشتر، القائد الوفي لعلي "عليه السلام" لحظة واحدة في قبول أمر مولاه في العودة من الجبهة والتخلي عن النصر القريب، وأخبر الإمام أن الوصول إلى مخيم معاوية يستغرق ساعة واحدة واستمهل الإمام. ولما وصله الأمر الثاني عاد مالك. ويرى العلماء ان ذلك التأخّر القصير لا يجوز. وتجب الطاعة الخالصة والقلب المطمئن. ويجب أن تكون الطاعة مطلقة، بعد المعرفة والادراك. والتسليم حق القيادة الإلهية، على الناس وبالذات الخواص.

انّ القيادة الإسلامية لها بُعد إلهي، وحجم وتعريف شعبي وقانوني، والقائد الإسلامي في البُعد الإلهي، نائب الإمام صاحب الزمان "عليه السلام" وحجته على الناس.

وهنا تكون للقيادة الإسلامية مكانة أرقى من القيادة المطروحة في العالم المادي. ويترتب على قدسيتها حب واع يكون منشأ جميع أنواع التبعية والإيثار والتضحية وأداء التكليف. ويعني فتح باب النقد والانكار ومخالفة هذا النوع من القيادة، قطع علاقتها بالناس وتضعيف جذر الطاعة.

وعندما يقوم شخص عميل ويحمل صفة الشيطان مثل سلمان رشدي بتوجيه إهانة إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وتكون إهانته مقدمة لعزل الإسلام وانتهاك حرمة الأحكام الإلهية، وإبعاد الناس والشباب عن الدين والإيمان الديني، وفتح الطريق أمام سيطرة الأجانب على المسلمين، فإن جزاؤه القتل، وإن تاب. لقد عفا النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" حتى عن وحشي قاتل حمزة سيّد الشهداء، ولكنه لم يعف، بأمر الله، عن الذين هجوه وسخروا منه وأمر بملاحقتهم ومعاقبتهم. انّ السخرية والإهانة، تُضعفان التبعيّة الصميمية والعقلانية. وأدّى سبّ عليّ "عليه السلام" إلى استشهاده مظلوماً في محراب الصلاة. وهذا الأمر لا يحصل دفعة واحدة، وتتهيأ أرضيته بالتدريج وبالهمس الشيطاني إلى أن يذبح في آخر المطاف، مظهر الحق والسيادة الإلهية، في المسلخ بالسكّين المخفي بالاعلام، والاستبداد المخفي خلف الحرية!

وجاء أويس القرني إلى المدينة ليلتقي برسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بعد أن استمهل أُمه يوماً واحداً لهذا الأمر. ولم يكن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة آنذاك، ولم يكن ذلك الشخص رآى النبي ولو مرة واحدة. فراح يتجول في أزقة المدينة ويشم رائحة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بحب في الأبواب والجدران. وانعقد قلبه بحب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى درجة بحيث انّه ظل ثابتاً حتى النهاية. ولمّا عاد النبّي "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى المدينة شمّ رائحة حبيبه وسأل عنه ولكن أُويس كان عاد إلى أُمّه، يا له من حبيب ويا له من محبوب!

ولم تكن آسية، زوجة فرعون تعاني من أي نقص، ولكن قلبها اتّقد في نور الإيمان بالله، إلى درجة بحيث انّها كانت تعتبر جميع الأشياء التي كانت في بلاط فرعون، نفاية مثيرة للاشمئزاز تحول دون وصولها إلى المحبوب، وربطوا بدنها بالأرض بواسطة المسامير وقتلوها ولكن إيمانها ظل راسخاً.

وآمن سحرة فرعون بموسى بعد أن رأوا تجلّي الحقيقة في معجزة موسى "عليه السلام" وبلغ تسليمهم له درجة، بحيث انّهم اعتبروا تهديد فرعون بقطع اعضاء أبدانهم وإعدامهم، سعادة!

وفي الجانب الآخر نجد نماذج مثل امرأة لوط وامرأة نوح وابنه، لم تتنور قلوبهم المظلمة بأي نور من الإيمان والتسليم، رغم انّهم كانوا إلى جوار أنبياء عظام. وكانت لديهم علاقة صداقة مع الأجانب وارتباط مع الفاسدين. لقد كانوا من بيوت الأنبياء ولكنّهم لم يحافظوا على حرمتهم، وضحّوا بقدسية اولئك الأنبياء وحرمتهم وطاعتهم من أجل رغباتهم ورغبات أصدقائهم.

وكم كان عدد المسلمين الحقيقيين الذي أحاطوا برسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" للمحافظة على قطب العالم الإسلامي وروح العالم؟ ولماذا أُصيب الإمام علي "عليه السلام" بتسعين جرح ولم يأذن للمشركين أن ينالوا من رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" بينما فرّ من الميدان كثير من الأصحاب تأثراً باشاعة الشياطين؟

ولماذا بات الإمام علي "عليه السلام" في فراش النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في قضية هجرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من مكة إلى المدينة، من دون أن يسأل أو يشكّ واستعد للتعرض إلى سيوف المشركين كي يتمكن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" من الهجرة بسلامة؟ وهكذا يفعل كلّ مَن أحبّ الله وصُقل عقله في زلال الوحي ولم يترك في قلبه مكاناً للشك والترديد والإبهام والشبهة وإلاّ خلد إلى العافية وسلّم روحه إلى الشيطان.

وأثبتت كربلاء انّه يجب المحافظة على حرمة التبعية والطاعة ويجب على المسلمين أن يكونوا درعاً بوجه كلّ سهم يرمي على هذه الحرمة كي تتم المحافظة على عزتهم وايمانهم وسعادتهم التي تتجلى في القيادة.

وفي كربلاء تعرض عدد من الأصحاب الأوفياء إلى عشرات السهام والأحجار والرماح ووضعوا أنفسهم في مسير السهام كي يصلّي قائدهم العزيز صلاة الظهر، ولم يتمكن العدو من الوصول إلى الإمام الحسين "عليه السلام" حتى استشهد آخر شخص من أصحابه الخلّص.

ان عاشوراء كانت تجلّي البيعة الصميمية من جهة، ونتيجة لهتك حرمة القيادة الإلهية، من جهة أُخرى، وهذه عبرة عظيمة لمَن يريد استمرار هداية وزعامة وادارة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وعترته، للمجتمع الإسلامي.

"ثم جعل ـ سبحانه ـ من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض. وأعلم ما افترض ـ سبحانه ـ من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله ـ سبحانه ـ لكلّ على كلّ، فجعلها نظاما للغتهم، وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعية، فاذا ادّت الرعية إلى الوالي حقّه، وأدّى الوالي اليها حقها عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليها أو أجحف

الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعُطّلت الأحكام وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطّل، ولا لعظيم باطل فعل! فهنالك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه"(١).

"لو ثار شخص كفوء تتوفر فيه هاتين الخصلتين (العلم بالقانون والعدالة)، وشكّل حكومة، فإن له نفس الولاية التي كانت للرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" في ادارة المجتمع، ويجب على جميع الناس طاعته.

انّ القول بأن الصلاحيات الحكومية للرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم"، كانت أكثر من صلاحيات امير المؤمنين "عليه السلام"، أو أن الصلاحيات الحكومية لأمير المؤمنين "عليه السلام" هي أكثر من صلاحيات الفقيه، قول باطل وخاطئ. وطبعاً ان فضائل الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" أكثر من جميع العالم، ويأتي بعده أمير المؤمنين "عليه السلام" الذي يتصف بفضائل أكثر من الجميع، ولكن كثرة الفضائل المعنوية، لا تزيد الصلاحيات الحكومية"(٢).

"ان مبدأ ولاية الفقيه وارتباط كلّ الطرق الأصلية للنظام بمركز الولاية، هي نقطة ساطعة للنظام الإسلامي وتحقيق الإرث القيّم الذي لا يُنسى لسماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف". وقد أثبت الشعب طيلة السنوات الاحدى عشر الأخيرة وفاءه واخلاصه الكامل لهذا المبدأ في جميع المجالات، وكان إمامنا العظيم أكبر مدافع وأشد داعم لهذا المبدأ وتحمّل بصورة جادة جميع آثاره ولوازمه. وهذا المبدأ هو ذخيرة لا تنفذ ويجب أن يحل مشكلات نظام الجمهورية الإسلامية في اللحظات

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، خطبة ٢٠٧.

(٢) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف"، ولاية الفقيه.

الحساسة والمنافذ الخطرة جداً في مسير الجمهورية الإسلامية المحفوف بالمخاطر ويحل العقد الصعبة.

وكان الدفاع الغيور للامام العزيز عن قضية الولاية والقيادة، التي لم يكن هناك للتصدي للقيادة من قبله أقل تأثير في ذلك، ناجم عن إدراك وإيمان عميق بهذه الحقيقة. واليوم سأُدافع بكل كياني وقدرتي عن هذا المبدأ ولوازمه، اتباعاً لذلك الشخص العظيم، وسأعمل، بعون الله، بتكليفي في جميع الموارد.

انّ الاخلال في الالتزام بولاية الفقيه والتبعية للقيادة، إخلال في كليّة النظام الإسلامي، وإنني سوف لا أتحمل ذلك من أي شخص وأية فئة"[1].

(١) آية الله الخامنئي.

عاشوراء مظهر للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

من دون محورية الولاية والعدالة

كانت عاشوراء نتيجة للسقيفة وكانت السقيفة، مؤامرة حققت تنمية جغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية للمسلمين، ولكن ليس بمحورية الولاية وإصفاف القيم والأحكام الإلهية، وبعبارة أُخرى تغيير مواقع القيم.

ومتى تكررت هكذا تنمية، أدت إلى وقوع عاشوراء مرة أُخرى في كربلاء تلك البلاد.

وكتب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" كتباً إلى زعماء الدولتين الكبريين المستكبرتين آنذاك واذنابهما، وعرض عليهما محور دعوته وكان عبارة عن الدين الإسلامي والحكومة الدينية والدعوة إلى الإيمان بالله ونبوّته. ولم تتهيأ امكانية وفرصة تحقق هذه الدعوة حتى رحل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ووقعت مؤامرة السقيفة.

وفتحت أراض واسعة في عهد الخليفة الأول والثاني واتسعت جغرافية العالم الإسلامي يوماً بعد يوم وتعرّف الناس في سائر البلدان على الإسلام وقيمه وآمنوا به. وأدت السعة الجغرافية إلى تنمية اقتصادية وحملت ثروات كثيرة إلى بيت المال ووزعت على المجتمع الإسلامي من قبل عناصر السقيفة. وحين ازداد الانحراف السياسي في عهد عثمان وُزّعت هذه الثروات على بعض الأصحاب من دون قاعدة وعلى ضوء البدع وحصلوا على ثروات حرام، وقد ذكرت أرقام عجيبة في ما يتعلق بثرواتهم.

ـ كان للصحابي طلحة بن عبد الله، مُلكاً قرب الكوفة، يُسمّى "نشاستج"، أشار إليه والي الكوفة وقال: لو كان لديّ هذا الملك لقمت بعمل يؤدّي إلى انفراج مهم في حياتكم (أهل الكوفة)!!

ـ حينما خرج أبو موسى الأشعري وهو من صحابة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، من قصر للجهاد، وضع ما لديه من أشياء ثمينة على أربعين بعيراً!! ـ اشترى مروان بن الحكم خمس الغنائم المتعلقة بفتح افريقيا (منطقة تونس والمغرب) وكانت كثيرة جداً، بخمسمائة ألف درهم!! ـ كُسرت قطع الذهب التي كان يملكها احد الصحابة، بالفأس، لتقسيمها على الورثة بعد وفاته!!

واضافة إلى التوسعة الجغرافية والاقتصادية، فقد خلت أقوام مختلفة في دائرة الإسلام، وقد أدّى تضارب آرائهم، وأحياناً طرح أفكار من دون تنقية ومن دون عرض على جهة صالحة وعالمة بمبادئ وأساس الإسلام، إلى تنمية ثقافة المجتمع على ضوء نموذج غير إلهي. ويشير الجهد الكبير للامام الصادق "عليه السلام" في مجال ايضاح ونشر المباني الفكرية والثقافية والفقهية والسياسية والاقتصادية للإسلام الأصيل، الإسلام الذي ينظر اليه من زاوية العترة، ومباحثاته مع أهل الفرق المختلفة، إلى تنمية ثقافية تحمل كثيراً من الالتقاط والانحراف في تلك الفترة. وفي تلك المرحلة تأسست فرق سياسية مختلفة، وقُسّمت الأمة الإسلامية إلى أكثر من سبعين فرقة!! وهي فرق كان لكل منها طريق تعتبره حقّاً. وقد اتجهت إلى التكثر الديني بصورة عملية!!

وتولى الإمام علي "عليه السلام" الذي حُرم في السقيفة من مواصلة هداية وادارة المجتمع على أساس القرآن وسنّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، بعد ٢٥ سنة شاهد فيها اتساع النظام الإسلامي من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية، زمام امور المجتمع الإسلامي، بعد إصرار الناس عليه، وهاجم في أول خطبة له، التنمية الاقتصادية من دون عدالة.

وقد أوضح الإمام علي "عليه السلام" للجميع انّه يريد إعادة ما خرج من بيت المال بغير حق وان كان اُشتري به صداق النساء. وضيّق دائرة العدالة حتى ثار عليه المستفيدون من تلك التنمية ووقعت حرب الجمل. وأصبح أصحاب بارزون كانوا قدّموا أفضل الخدمات في عهد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ونالوا ألقاباً

عظيمة من قبل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، متّهمون في محكمة عدل علي "عليه السلام"، وقرر لهم أسهم مساوية لأسهم المحرومين والمستضعفين، لذلك أشكلوا عليه في أنّه عمل خلافاً للتنمية الاقتصادية، وجعل المجتمع غير آمن للرأسماليين الكبار ووقفوا بوجهه!! فتوكّل الإمام علي "عليه السلام" على الله تعالى، ولم يجعل رضا غيره معياراً لعمله والتفّ حوله المحرومون.

انّ العدالة تقوم بازالة الحرمان، وتحول دون الظلم وتكديس الثروة في أيدي أفراد معدودين. ان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، مظهر العدل، وعلي "عليه السلام" يسير على نهجه في العدالة، لقد أطفأ المصباح كي يستمع إلى الكلام الشخصي لطلحة والزبير، وكان يوصي باطالة جلفة القلم وتقريب السطور، وقرّب ذات يوم قطعة حديد حارة من بدن أخيه عقيل كي يتخلى عن طلب مال أكثر من سهمه، ووقف مع شخص يهودي في المحكمة أمام القاضي وأجاب على أسئلته وحكم عليه في الظاهر، وقطع أصابع يد شخص سارق وكان من شيعته المخلصين، لاجراء الحدود الإلهية، وكان يتجول في سوق الكوفة وبيده عصا كي يحول دون اجحاف التجار ويمشي في أزقة الكوفة في الأيام الحارة لاحقاق حق المظلومين ويحفر بيديه آباراً ويقوم بوقفها، ويزرع نخلاً ويقوم بوقف تمرها للمحرومين، ويتناول خبزاً يابساً وملحاً، ويلبس ثياباً بسيطة، ويخصف نعله بيديه، ويضع صرة فيها خبزاً وتمراً على كتفه ويبحث في نقاط المدينة عن المحرومين الجائعين؟ وغيرها... وكلها تشير إلى أولوية العدالة على التنمية، وتدل على انّ المسير الذي قُطع بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" كان انحرافاً كبيراً. وقد بنى كلّ شيء على العدالة واستشهد في ذلك الطريق. وإذا لم يكن في زمان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم محروماً يُعطى خمساً، فقد ظهرت بعد رحلته طبقة ثرية في منحدر سقوط وانحراف رسم السياسة من قبل جهاز الخلافة. وحصل الخواص على مال كثير في وقت كان المحرومون لا يملكون خبزاً لعشائهم. ويؤيد ظهور

ذلك الانحراف زخارف المسكوكات والقصور التي بُنيت والجـواري التـي كانـت تُجلب من ديار الروم، وعشرات الأدلة الأُخرى.

لقد كانت معركة الجمل، مقاومة طبقة كانت ترى ان ولاية علي "عليـه الـسلام" تعرّض ثرواتها الكثيرة إلى الخطر، وتجد أنها لا تتمكن عند ذلك من زيادتها. وقـد قامت بتقديم وجوه معروفة لازاحة الـشخص الـذي أراد الحيلولـة دون تكديـسهم للثروة، ومنادي العدالة، أي الإمام علي "عليه السلام"!

وكان معركة النهروان، مقاومة من قبل قوم سيطر التلفيق على عقائدهم وفكـرهم. وكانت الجباه السود وقراءة القرآن والسابقة الجهادية، وسيلة لمواجهة الحـق. ولـم يعترف اولئك بحق الإمام في إدارة المجتمع وأمره ونهيه، واتجهوا بدلاً من ذلك إلى حكم وتدبير جماعي!! واعتبروا الحكم لله، والسلطة في يد جماهير الناس!! من دون أن يوضّحوا مكانة وخصائص الحاكم! وقالوا كلمة حق أرادوا بها باطلاً، وهي إقالة إمام المسلمين بالتمسك بجماهير الناس.

وكانت معركة صفّين، مقاومة فئة وصلت إلـى حكـم الـشام فـي وادي التنميـة السياسية من قبل عثمان، ولم يتحمل الإمام علي "عليه السلام" اولئـك الـذي كـان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" قد نفاهم، لحظـة واحـدة فـي منـصب ادارة المسلمين.

وفي عهد رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" كان الجميع يشعرون بحب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكانوا يطيعونه، ولم يكن هناك مجال لاظهار المعارضة من قبل عدد قليل من الأشخاص. وبعد رحلة النبي "صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم" واتساع رقعة البلاد الإسلامية، تبلورت أنواع المعارضة وقامت بعض الفئات باظهـار نفسها. ولم يبق ذلك الحب والتـسليم ولا ذلـك الإيمـان والاعتقـاد الخـالص ولا المجاهدين الذين كانوا يحضرون في الساحات في سبيل الله. ولكم كانت شـكوى الإمام علي "عليه السلام" مؤلمة حين قال:

"اين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحافاً زحافاً، وصفّاً صفّاً. بعض هلك، وبعض نجا لا يبشّرون بالاحياء، ولا يُعزّون عن الموتى. مره العيون من البكاء، حمص البطون من الصيام... اولئك اخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظمأ اليهم ونعض الأيدي على فراقهم"(١).

ان امارة غير الاكفاء وعدم الإلتزام بالأحكام الإلهية أمام الأنظار وسب العترة والولاية على المنابر والمعابر ووسائل الاعلام آنذاك وعدم الاهتمام بسنن وكلمات رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والتمسك ببدع بعض الخلفاء والتلاعب بأموال بيت المال وظهور الفساد في المجتمع والاباء العام عن العمل بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاباحية وظهور أفكار ممزوجة بانحرافات متأثرة بعالم الشرك والكفر (اليونان والروم وايران القديمة)، وعشرات الأدلة البارزة، يرتسم من خلالها مشهد للمجتمع الإسلامي المريض الذي كان ظاهره الواسع، جذّاباً، ولكن باطنه الضيق كان يثير الاشمئزاز. ولم تبق من المجتمع الذي بناه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والروح التي نفخت فيه والفسيلة التي اعتنى بها، إلاّ علائم معدودة ضعفت مع مرور الزمان.

ولم يتمكن الإمام علي "عليه السلام" من إعادة العدالة إلى التنمية الاقتصادية، واعادة القيم الإلهية إلى التنمية الثقافية، وإعادة الولاية إلى التنمية السياسية، واستشهد في هذا الطريق.

ولم يكمل الإمام الحسن بن علي "عليه السلام" الطريق نتيجة خيانة الخواص وجعل كبده المقطّع ظهيراً للدين الحق والصراط الإلهي المستقيم وحزب الله. وجاء الحسين "عليه السلام" إلى كربلاء لوضع علامة البطلان إلى الأبد على جبين الباطل، وإن تلوّن بلون الحق، وقدّم دمه ودماء أصحابه لفضح اولئك.

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، خطبة ١٢٠.

وجاء الحسين "عليه السلام" ليثبت انّه يوجد دين حق واحدة لا أديان حق متعددة، وأن هناك صراط مستقيم واحد لا أكثر، كي لا يظهر يزيد بمظهر الحق بالاستناد إلى وجود أكثر من صراط.

وجاء الحسين "عليه السلام" لاظهار المال الحرام وما اكتسب ظلماً نتيجة التنمية الاقتصادية، في بطون الجيش المواجه له ويرسم عاقبة هذا النوع من التنمية.

وجاء الحسين "عليه السلام" ليقول إن تفسير الدين وشرح الشريعة ليس من صلاحية الجميع بل هي وظيفة الإمام الذي لا يفارق القرآن، وسبط الشريعة تأثر بثقافة الكفر، مثلما انّ التحجر باطل ومن عمل الخوارج.

وجاء الحسين "عليه السلام" ليقول انّ الدين يتم مع الامامة، وهكذا يتمكن من ادارة المجتمع وينتصر ويظل خالداً، ومن يريد الدين من دون الامامة والولاية، فانّه يفصل الشريعة من السياسة، والتنمية السياسية من دون الولاية، مظهرها الشام ويزيد!

وجاء الحسين "عليه السلام" ليظهر العاقبة المشؤومة التي تنتظر المجتمع الإسلامي من التنمية الثقافية إذا دخل أمثال كعب الاحبار (وهو يهودي حديث عهد بالاسلام) وتميم الداري (وهو نصراني حديث عهد بالاسلام)، في المجال الثقافي للمجتمع وجرت المعارف الإسلامية على ألسنتهم!

وكان جوهر كلام الحسين "عليه السلام" هو ان كلّ تنمية يجب أن تكون وفق مدار الولاية والعدالة، ومحور التنمية يجب أن يكون اماماً عادلاً وعارفاً بالدين ومؤمناً به ولديه حمية أزاء الأحكام الإلهية، وكلّ ما عدا ذلك ليست له قيمة.

وما هي قيمة المجتمع الذي يطاف فيه رأس الحسين "عليه السلام" وأصحابه على الرماح، وان كثرت املاك ذلك المجتمع!؟ وما هي قيمة الجغرافية السياسية والثقافية الواسعة إذا لم يكن لقرة عين رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وفلذة كبده وسيد شباب اهل الجنة، مكان في تلك المنطقة الواسعة، الإسلامية في الظاهر؟! ولو بقي الحسين "عليه السلام" وتسلم السلطة لسلك نفس الطريق الذي سلكه الإمام علي "عليه السلام"، أي العمل على أساس العدالة والتقوى والحيلولة دون الأنانية،

ولذلك قتلوا الحسين "عليه السلام" كي يظل يزيد على أريكة السلطة، ويظل المحيطون بآل أبي سفيان ينهبون الثروات وينشرون المحرمات.

ونتيجة السياسة والثقافة والاقتصاد المتأثرة بالأفكار المشؤومة لديار الكفر والغرب آنذاك، والداخلين إلى الإسلام بصورة مثيرة للشك، وصل الوضع حدّاً بحيث يستشهد الحسين "عليه السلام" وأصحابه في كربلاء عطاشى وفي غربة، رغم ما كانوا يتصفون به من خصائص فريدة، وتحرق خيامهم وتسبى عيالهم كي تظل تلك الرؤية المنحرفة.

لقد كان اولئك مخالفين لفقه أهل البيت وعلمهم. وكانوا مخالفين لسيرة عترة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وتدبيرها وسياستها. وكانوا مخالفين لعدالة أهل البيت. ولو كان الحسين "عليه السلام" بايع يزيد لما خالفوا الحسين "عليه السلام". وتعني مبايعة يزيد تأييد هذا الفكر والسياسة والتدبير والاقتصاد والثقافة، وهكذا أمر يعني هدم الإسلام المحمدي الأصيل، وهيهات أن يقبل الحسين هذه الذلة والعار، وهيهات أن يقبل السائرين على نهج الحسين في كلّ زمان ومكان مبايعة المستكبرين وثقافتهم وسياستهم.

"انّ الهدف الأساسي في هذه المرحلة من الثورة يتمثّل في بناء بلد نموذجي يتحقق فيه الرفاه المادي المقرون بالعدالة الاجتماعية مع الجانب المعنوي والحالة الثورية، والاتصاف بالقيم الاخلاقية الإسلامية. ولا يمكن بقاء الثورة وتجاوزها مختلف المراحل إذا ضعف أي من هذه الأركان الأساسية الأربعة، أو حصلت غفلة تجاهها.

ولا يعني الرفاه المادي اشاعة النزعة الاستهلاكية، التي هي من الهداية المشؤومة للثقافة الغربية، بل يعني بلوغ البلد حدّاً مقبولاً من حيث العمران واستخراج المعادن والاستفادة من المصادر الطبيعية وتأمين سلامة المجتمع وصحته وازدهار الاقتصاد ورواج الانتاج والتجارة، اعتماداً على القابليات الذاتية لقواه البشرية، ويصبح العلم والثقافة والبحوث والتجربة، عامة، وتزول مظاهر الفقر والتخلف.

انّ العدالة الاجتماعية تعني زوال الهوة العميقة بين الطبقات والاستفادة الباطلة وأنواع الحرمان. ويشعر ويشاهد المستضعفون والحفاة، الذي يعتبرون أوثق وأوفى المدافعين عن الثورة، ان هناك حركة جادة نحو رفع الحرمان. ويُطوى بساط التعدي على حقوق المظلومين والتجاوز على الدائرة الشرعية لحياة الناس عن طريق القوانين اللازمة وتحقيق الأمن القضائي في البلاد..

وتعني الحالة الثورية عدم اتجاه المجتمع والمسؤولين إلى المساومة والتسليم أمام صلف القوى العالمية والغفلة عن مؤامرة الاستكبار وتجاهل البُعد العالمي للثورة، نتيجة الميل إلى حياة مريحة ومرفهة.

انّ اليوم الذي تجعل فيه الجمهورية الإسلامية، الرفاه والعمران هدفها الأساسي، لا سمح الله، وتصبح في هذا الطريق مستعدة لغض النظر عن الأهداف الثورية والعالمية ونسيان البُعد العالمي للثورة، هو يوم الانحطاط وزوال جميع الآمال، ولن يأتي مثل هذا اليوم ان شاء الله..

ويعني الاتصاف بالقيم الأخلاقية الإسلامية، شيوع روح الفضيلة والتقوى والصلاح والصبر واجتناب الشهوات الممنوعة والابتعاد عن الحرص وحب الدنيا والظلم وعدم المروءة وكنز المال والاقبال على الاخلاص والصلاح وسائر الخصال الأخلاقية، في المجتمع وتبلورها على شكل قيم أصلية"[1].

(١) آية الله الخامنئي، حديث الولاية، ج١، ص٢٨٦ ـ ٢٨٨.

عاشوراء، حصيلة الضعف في معرفة العدو والغفلة عنها

يبدو وكأن كلّ العبر كان لها دور في عاشوراء، وساهمت كلّ منها بمقدار تأثيرها في وقوع تلك الحادثة الكبرى. ومن العبر المهمة الأُخرى التي هيأت أرضية كربلاء لعاشوراء، هي الغفلة عن العدو والضعف في معرفة العدو.

وعندما كان الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" على قيد الحياة الظاهرية، وقال "لا" للمشركين والكافرين والمعاندين وتبرأ منهم، وحسب تعبير القرآن، كان رحيما بالمؤمنين وشديدا مع الأعداء، لم يتمكن العدو من النفوذ والقيام بالمؤامرة. وحين ترك غاصبو الغدير، سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" تهيأت أرضية كربلاء رويداً رويداً.

من هو العدو وأين هو وماذا يريد وماذا يفعل؟ اين حسن الظن، وأين سوء الظن؟ ومن هم المؤمنين الذي يتعامل معهم برحمة؟ ومن هو العدو الذي يستحق أن يتعامل معه بشدة؟ وهل التسامح والتساهل وسيلة للكسب إلى الإسلام والسهولة في أعمال المسلمين ومراعاة أحوالهم أم هو أداة ازالة الحدود العقائدية والسياسية والقيمية وادخال العدو في البيت؟ وهل العدو في خارج الحدود الجغرافية أم انّ العدو، عدو وان كان في داخل البيت ويتظاهر بمظهر الصديق، وما هي كيفية التصرف معه؟ وما هو شكل العدو وما هو باطنه؟ وهل انّ العدو يعمل بصورة مباشرة أم بصورة غير مباشرة، ومن هم عناصره؟ وكيف يصطف العدو، وما هي الأدوات التي يستخدمها؟ يجب أن تُعطى أجوبة على هذه الأسئلة وعشرات الأسئلة الأُخرى من هذا القبيل في اطار معرفة العدو، كي تقاوم جبهتنا بصورة قوية أمام المؤامرات المتزايدة للأعداء.

حقاً ماذا جرى حتى ترك أصحاب الجمل، معاوية، وجاؤا لمحاربة الإمام علي "عليه السلام"؟ لقد كانوا من المستائين من عثمان والثائرين عليه، وكانوا يعرفون

معاوية جيّداً، وقد بايعوا الإمام علي "عليه السلام"، وهل انّ القميص الذي رفعته بنت أبي بكر على الرمح لخداع العوام، خدعتهم به أيضاً؟

ماذا جرى، حين خرج الخوارج على الإمام علي "عليه السلام" اعتراضاً على عدم محاربته لمعاوية وعدم الغائه التحكيم، ثم لما اعلن الإمام علي "عليه السلام" الحرب على معاوية اجتمعوا في النهروان كي يقاتلوا الإمام علي "عليه السلام"، وليظل معاوية، نتيجة حماقتهم، يحكم الشام ويواصل المؤامرات؟

ولما تولى معاوية ولاية الشام إثر سياسة التنمية السياسية، قام بتقوية قواعد حكمه مستغلاً هذا الضعف الذي كان لدى المسلمين. وكان يدرك انّ المسلمين لا يعرفون العدو. ومنذ أن وضعوا أيديهم في أيدي الغاصبين جماعة جماعة اتباعاً لأمرائهم ورؤساء قبائلهم، مع علمهم بالغدير وحقانية علي "عليه السلام"، فهل انّهم لا يملكون البصيرة اللازمة في معرفة العدو؟ وعندما اختارت الشورى المؤلفة من ستة أشخاص، عثماناً للخلافة على أساس انّه مستعد لمواصلة طريقة الشيخين، وأن عليّاً "عليه السلام" يعمل فقط بالقرآن وسيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" واجتهاده، تأكد له أن عثمان من أهل المداراة، وأن بيته مكان آمن لأعداء الإسلام مثل مروان بن الحكم المنفي.

لقد استفاد معاوية جيداً من نقطة الضعف هذه. وحينما رفع قميص عثمان على الرماح علامة على المطالبة بدم الخليفة، ورفع المصاحف على الرماح، كان يدرك أن كثيراً من الأشخاص من بين أهل الشام وفي جيش الإمام، ومن بين الخواص ومن بين العوام أيضاً، يخطأون في تشخيص العدو. وهكذا كان الحال، ووقع ما كان يجب أن لا يقع. وحين وصل عمرو بن العاص إلى طاولة المحادثات، حصلوا على ما لم يتمكنوا من الحصول عليه في ساحة الحرب، من خلال خداع الشخص الذي أُجبر الإمام على تعيينه ممثلاً له.

وحينما أرسل معاوية أكياس ذهب إلى مخيم آمري جيش الإمام الحسن المجتبى "عليه السلام" كان يدرك انهم يلتحقون به، وهذا يدل على عمق عدم معرفتهم بالامام

ومعاوية. وهل أن من كان يعتبر ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" اماماً حتى الأمس وكان في جيشه وحمل سلاحاً كي يحارب عدو الدين، أي معاوية، ثم يلتحق بجيش معاوية ويترك الإمام وحيداً، لديه معرفة بالعدو والصديق؟ وكيف يوثق بمن يغيّر آرائه بسهولة ويرى العدو صديقاً من دون أن يحصل أي تغيير في شدة عداوته؟ إنّ اولئك لم يكن لديهم إيماناً ثابتاً ولا معرفة عميقة وصحيحة للعدو، ولذلك يستحقون اللّوم.

لقد كان معاوية يبحث عن الخواص في مخيّم الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام لحثهم على المباحثة والارتباط، لأنّه كان يدرك انّه يوجد أشخاص يخدعون بلباقة لسانه ووعوده الكاذبة ويجلسون على طاولة المساومة. ولو كان الخواص في جيش الإمام علي "عليه السلام" يعرفون عناد العدو وبغضه واستكباره ولم يخدعوا بدعوته إلى الحوار، لما وقعت حادثة عاشوراء في كربلاء. لقد أوشك جيش الإمام علي "عليه السلام" على الوصول إلى مخيم الكفر السفياني وقد انتاب معاوية الخوف من برق سيف مالك الأشتر، ولكن ماذا يحصله الناس الذين لا يعرفون الأعداء، والخواص الذين يخدعون بضحكة العدو ولا يرون سيف البغض خلفه، غير الحسرة والندم؟

لقد رفع العدو الذي عرف لسنين طويلة، بعدائه للاسلام وأهل البيت وعرفت قبيلته بخلق الشرك والكفر ومعاداة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، غصن زيتون في يد، والقرآن في اليد الأُخرى، وأرسل أشخاصاً يترددون بصورة دائمة في مخيم المسلمين لكسب القلوب ضعيفة الإيمان والراغبة في الدنيا ودفعها إلى الخيانة في اللحظات الحساسة. وقد فعلوا ذلك، وساهموا في استمرار معاوية في حكم الشام، وزرعوا بذور الاختلاف والبغض العميق والواسع بين أصحاب الإمام، وكانت ثمرة ذلك على المدى القصير، الخوارج واستشهاد الإمام علي "عليه السلام"، وكانت كربلاء ثمرته على المدى البعيد.

ومن الصور البارزة لستار عاشوراء، العودة العجيبة للذين كان الجميع يعرف سوابقهم السيئة المليئة بالعناد والبغض ومخالفة الإسلام، وكان قبولهم من قبل الناس والخواص أعجب. فمروان بن الحكم شخص نفاه الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم" بصورة دائمة من المدينة لإهانته الإسلام والنبي "صلى الله عليه وآله وسلم". ولم بلغ الخليفة الاول والثاني، حكم رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولكن الخليفة الثالث أعاده إلى المدينة، خلافاً لأمر النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وعيّنه مستشاراً له. مستشار لعب دوراً بارزاً في قتل الخليفة الثالث، وفي ثلاثة حروب أضرت بوحدة الامة الإسلامية، أي حرب الجمل وصفّين والنهروان، ومظلومية الحسن بن علي "عليه السلام" وإكراهه على الصلح وتهيئة حادثة كربلاء، ثم جلس مكان أمير المؤمنين فترة زمنية قصيرة!! وكان هناك أشخاص كثيرون مثل مروان، كانوا منفيين وعادوا إلى الساحة، ومنهم الوليد ومعاوية وعمرو بن العاص وابن زياد وغيرهم.

وقد سمع الناس قول النبي "صلى الله عليه وآله وسلم":

"الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه"(١).

فكيف تمكن هؤلاء من العودة إلى الساحة، ووقفوا في مواجهة الإمام علي "عليه السلام" وضحوا بالعدالة من أجل رغباتهم؟ ولماذا لم يعمل الناس والخواص بأمر رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، ولم يكن صادراً عن هوى؟

لقد كان المنفيون والحاقدون على الإسلام والولاية النبوية والعلوية، يدركون ان عليهم أن يصبروا مرحلة واحدة حتى تصبح الأرضية مساعدة. وكانوا يدركون ان هناك أشخاص يقومون بتهيئة الأرضية لدخولهم مرة أُخرى من خلال التساهل والبدعة في سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والنظام الديني والعدول عن

---

(١) هذه الرواية قالها الإمام الحسين "عليه السلام" رداً على مروان بن الحكم الذي دعا الإمام في المدينة إلى مبايعة يزيد.

قلعة الوحي والعزة والقيم الإلهية. وكانوا يدركون التاريخ بكل منعطفاته، ويعرفون هؤلاء ذوي الطبع المرن الذين ينظرون إلى الإسلام من زاوية واحدة.

ولو كان الخواص والناس يصرون دائماً على اجراء الإسلام ونظامه وسيرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" من دون زيادة أو نقيصة، لما تهيأت الساحة لعودة المنفيين وذوي القلوب الملوّثة الذين قاموا بالتلاعب بعقائد الناس وإيمانهم ودنياهم من خلال تفاسيرهم الملوّثة وإدارتهم المنحرفة. لقد قام الذي غصب الخلافة في البداية والذي مسك زمام الأُمور بعده بتغيير مواقع القيم وفتحوا منافذ أدت إلى أن تضم عاشوراء بكل عظمة تاريخاً كاملاً.

وكيف يمكن معرفة اللص، إذا دخل وسط الناس ومشى معهم وصاح معهم لالقاء القبض على اللص؟ ومن يلتفت إلى الحقيقة إذا أشارت أصابع الاتهام نحو شخص صالح، في أجواء الغوغاء والهمهمة والاضطراب والنزاع، التي يندر فيها الفكر السليم والضمير الحي؟

انّ الذين يعبّر عنادهم للإسلام، عن جرح عميق أصابهم من الإسلام، وأحمرت وجوههم نتيجة صفعة تلقّوها من الإسلام الخالص، يجب أن لا يعودوا إلى ساحة السياسة والحكم وإدارة المجتمع وساحة ثقافة الناس وعقائدهم وقيمهم. ويجب أن لا يفتح الاصدقاء والخواص الطريق أمام بأي ذريعة كانت، ويجب أن لا يسير الناس الذين يريدون السعادة في الدنيا والآخرة خلف الشخصيات والجمعيات بصورة عمياء.

انّ الذي يعرف الطريق ويميز معالمه، وهو الإمام والولي والفقيه العادل التقي، السياسي، المدير، المدبّر والذي يعرف العدو، وطاعته الخالصة توجب الفلاح.

ويجب دائماً أن يظلّ فكر الناس وعقيدتهم وإيمانهم وأُمورهم في منأى عن المنفيين العنودين والحسودين والحاقدين والمصفوعين والذين وصم رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والإمام المعصوم "عليه السلام" والفقيه العادل، جباهم بوصمة عار الانحراف عن الإسلام وقيادته. وأي تبرير لاعادة اولئك، هو غير معقول

ولا مقبول ولا مشروع. ولماذا تدفع الضغوط السياسية والاقتصادية لاعداء الإسلام والميل إلى الرضا وضحكهم على هذا الوهم وهو أنّهم يحلّون عقد المشكلات وتقليل الضغوط، الخواص إلى الحوارات والتصرفات التي تسر العدو وتزرع اليأس والاضطراب لدى الاصدقاء؟ وهل يريد العدو شيئاً غير الخضوع المحض للمؤمنين والتخلي عن العقيدة الخالصة والعمل بالأحكام الإلهية، وهل يقنع بأقل من ذلك؟

وما معنى عودة المنفيين من قبل الإمام، إلى الساحة، هؤلاء الذين مُنعوا من ممارسة النشاطات السياسية، والحركات والمنظمات التي أعلن الإمام بطلان أفكارها واتضح انحرافها عن الإسلام والمصالح الحقيقة للشعب، والأحزاب التي اعتبرها الإمام مرتدة لأنها اعتبرت الأحكام القرآنية الصريحة خاطئة، والذين أدى تلفيقهم في العقائد، إلى قيامهم بذبح الحرس والمؤمنين عند مائدة الافطار؟ وكيف عادوا ولماذا؟ إذا كانوا دخلوا من المنافذ التي فتحها الأصدقاء وأعطينا لهم المجال، فما هو الضمان في عدم تكرار غدر اهل الكوفة وغربة الإمام علي "عليه السلام" وعاشوراء؟ وإذا أدت الضغوط إلى تغيير قناعة الخواص بالمبادئ الأساسية للثورة الإسلامية، فما هو الامر الذي يمكن توقعه غير تكرار مظلومية صدر الإسلام؟

انّ النظام الديني لولاية الفقيه، أي الإسلام المحمدي الأصيل والذي محوره العدالة والتقوى، ليس بينه وبين فتح مخيم الاستكبار أكثر من هجوم واحد. وانّ العيون النافذة والآذان التي تسمع والقلب المرتبط بالله وولي الله الأعظم "عج" الذي سمع صوت تهشّم عظام الماركسية والذي اثار حيرة العالم باعلان ذلك، قد سمع أيضاً صوت زوال الثقافة الغربية الفاسدة والمبتذلة وتهشم عظام النظام الظالم والاستكبار والرأسمالي الغربي. والآن ما هي الفئات والمنظمات والأشخاص الذين أصبح لديهم استعداد للميل إلى العدو، غير الذين صفعهم الإسلام؟ لقد جاء هؤلاء إلى الساحة لإثارة الفرقة بين صفوف الاخوة، ويطرحون القبول بالحوار والعلاقة، ويخلّصون العدو من هزيمة قريبة الوقوع، ويعملون من أجل تحطيم استقامة الشعب المؤمن ووفائه، واظهار أن النظام الديني وقيادته عاجزة عن إدارة المجتمع في عصر

التقنية والعلم. لقد جاءوا كي يعملوا من أجل أن يصبح علي وحيداً، وجاؤا كي يظلموا عليّاً "عليه السلام" ويوصلوا الحال إلى قتل خير أبناء الإسلام وخير عباد الله، في عاشوراء.

وفي ذلك اليوم رفعوا المصاحف على الرماح، واليوم يطرحون مسألة حقوق الإنسان والديمقراطية والحريّة. وفي ذلك الزمان كانت أكياس الذهب تدخل إلى المخيم، واليوم تطرح وعود تصدير الأجهزة المعقدة والتكنولوجيا والقروض الاقتصادية الكبيرة ورفع أسعار النفط وأمثال ذلك. وفي ذلك الزمان كسبوا أمثال الاشعث بن قيس وقاموا اثارة جيش الإمام علي "عليه السلام" للقبول بالحوار مع معاوية، واليوم يأتي دور حركة الحرية والجبهة الوطنية ومنظمات أُخرى وعناصر متلونة. وفي ذلك اليوم خرجوا على الإمام علي "عليه السلام" رافعون شعار "لا حكم إلاّ لله"، واليوم يسيئون الاستفادة من القانون والدستور. وفي ذلك الزمان قام أمثال كعب الاحبار وتميم الداري بالقاء الشبهة في المبادئ والقيم العقائدية الإسلامية، واليوم يقوم بذلك المثقفون المرعوبون من الغرب. وفي ذلك الزمان استغلوا عنوان "سيرة الشيخين" لإلحاق الضرر بالاسلام وإيمان الناس، واليوم يريدون الوصول إلى تلك النتيجة بطرح شعار "حرية الإنسان واختياره"!

إن الذين يظنون انّ العداوة والتآمر على الإسلام والنظام الديني وقيادته، أمر وهم، يقيمون بذلك علاقة صداقة بشكل ما، مع أعداء النظام الديني. ان اعتبار عناد الأعداء وبغضهم وتآمرهم، مجرد وهم، وتبرئة الاستكبار من العداء للنظام الديني، يؤول إلى غفلة الشعب مما يهيّء للعدو أكبر فرصة للتخلّص من هزيمة قريبة ويؤدّي إلى تعرض وحدة الشعب إلى الفرقة والنزاع والجدل.

انّ العدو، سواء كان في الداخل أو الخارج، يريد منّا ديننا. وهو يريد أن لا نُظهر حساسية تجاه الأحكام الإلهية. ويريد تعطيل اجراء الحدود الإلهية. ويريد سيادة الحرية بمفهومها الغربي، الحرية المستوردة والاستعمارية، لأن إهانة الإسلام والمقدسات تصبح ممكنة في هذا الحال. ويريد عدم إصرار حكم إعدام سلمان

رشدي الذي وجه إهانة إلى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ولا تتعهد الحكومة بإجراء حكم يصدره فقيه مجتهد عادل وإمام. ويريد أن لا نتكلم إذا قتل آلاف المسلمين في البوسنة والهرسك وفلسطين والعراق وأفغانستان وكشمير وكوزوفو، وان لا نهتم بأُمور المسلمين. ويريد أن تكون مراسيم حجنا خالية من البراءة من المشركين.

ويريد أن لا نؤكد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويريد ان لا يكون لدينا حب وطاعة للاسلام ومظاهره وشعائره وقيمه وخاصة ولاية الفقيه. ويريد أن تكون العلاقة المباشرة بين الإمام والامة وحزب الله، محدودة في الأحزاب والمنظمات والجمعيات. ويريد ان نتخلى عن اسم الإمام ومواصلة طريقه والالتزام بسيرته والعمل بوصيته السياسية الإلهية. والخلاصة يريد سحق عزتنا واستقلالنا وديانتنا. "اني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة".

وما لم تتحقق هذه، فإنّ الاستكبار وعملاؤه لا يكفّون عن العداء للاسلام. وما لم يكفوا عن العداء للإسلام، فإن التصديق بوعوده ووعيده واشاراته الخضراء وابتساماته، يعني دعوة إلى البيت، ومن يكون مستعدا أن يعطي كلّ هذه المكتسبات والبركات والنور والنعمة، من خلال كلامه ومواقفه واعماله وكتاباته ويأخذ صدقة سرية؟! انها ليست ملك شخص حتى يريد اعطاءها في لباس الصداقة.

ان هذه هي حصيلة دماء شهداء ١٥ خرداد و ١٧ شهريور والاربعينيات في انحاء ايران و٢٢ بهمن والسابع من شهر تير والثامن من شهر شهريور وثماني سنوات من الدفاع المقدس.

وهي حصيلة عناء ومشقات المضحّين والأحرار والمؤثرين وعوائلهم المعظمة والشهداء.

وهي حصيلة جهاد وسعي وابتكار وبناء وقناعة آلاف الجنود المجهولين والمتطوعين المخلصين وحزب الله المستضعفين والحرس المحبين والعاملين في جهاد البناء.

ومن أعطى لشخص اذن وجرأة المساومة مع العدو وعرض ملك الثورة للبيع؟

انّ الذين انتخبوا المسؤولين في أي مؤسسة ومنصب، وصادق القائد على ذلك الانتخاب واعطاه شرعية، لم يقوموا بذلك من أجل مساومة، بل كان ذلك من أجل المحافظة على الملك الثمين للثورة، وهم كإمامهم، يستعيدون كلّ ما أعطوه لأي شخص، إذا رأوا غير هذا الأمر، كي لا تتكرر كربلاء.

ويجب أن يعرف الإنسان، العدو ويجب ادراك انّه يفهم لغة القوة وتوقفه حدة السيف عند حدّه.

ويفيد المنطق والاستدلال، مع القلوب الخالية من البغض.

﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾[1].

انّ العدوّ لديه سعة صدر ويترصد دائماً الفرص المناسبة ويعمل من أجل إجراء المخططات التآمرية. والعدو مثل الذئب، يهجم على الفريسة إذا شعر انها تريد الفرار، ويقف في مكانه إذا رآى ثباتاً ولا يطبق أجفانه، ويهجم حين يشاهد غفلة.

ان عاشوراء كانت حصيلة عودة المنفيين والمعاندين إلى الساحة وكانت عاشوراء حصيلة مؤامرة رفع المصاحف على الرماح من قبل العدو في صفّين.

وكانت عاشوراء حصيلة فكرة المساومة والمحادثة التي كان يطرحها أشخاص مخدوعون مثل الأشعث بن قيس وأصحابه. عاشوراء كانت حصيلة تحكيم أبو موسى الأشعري عند طاولة المباحثات.

عاشوراء كانت حصيلة ضلال أهل النهروان وخبث قلوبهم وحقدهم وإرادتهم الباطلة.

عاشوراء كانت حصيلة سذاجة مجاهدي الكوفة وحسن ظنهم بابن زياد. عاشوراء كانت حصيلة سوء تصرف الأصدقاء الجهلة الذين رجّحوا الكفّة لصالح العدوّ.

---

(١) الأنفال: ٦٠.

عاشوراء كانت حصيلة تيار بدأ نتيجة وانتهى إلى حقد. حقد ظهر في السقيفة وظلّ مجهولاً وظهر في كربلاء واتّضح.

وكانت عاشوراء حصيلة الانفتاح، واظهار العدو صديقاً والصديق عدوّاً.

وكانت عاشوراء حصيلة عدم التحليل السياسي الصحيح لأوضاع الزمان والخطط النفاقية والأيدي الخائنة.

وكانت عاشوراء حصيلة الفراغ الفكري للمسلمين والتباس الامور عليهم بواسطة إعلام الاعداء وعملائهم المرتزقة والعمل الخاطئ للأصدقاء.

عاشوراء كانت حصيلة انتشار الفساد والشهوة والثروات الحرام وضعف حساسية المؤمنين أزاء الذنوب وعدم إجراء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عاشوراء كانت حصيلة تضعيف العلاقة الصميمية والمقدّسة بين الإمام والناس من قبل الأيدي الوسيطة التي كانت ترى أن تلك العلاقة هي حاجز في طريق وصولهم إلى السلطة.

وكان اعداء الإسلام سبباً في وقوع عاشوراء الذين أظهروا ابن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والمدافع عن الإسلام الخالص، وكأنه عدوّ خليفة الإسلام وخارجي.

وقد ساهم في وقوع عاشوراء أُناس بقصد القربة إلى الله والقضاء على عدو خليفة الإسلام!!

وكانت عاشوراء، تجلّي عدم معرفة الخواص والمسلمين بالعدو، وتتكرر عاشوراء ويمكن أن تكون أي أرض كربلاء ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

"تولّى الوليد بن عقبة حكم الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص. وكان من بني امية. وحين دخل الكوفة استغرب الجميع لأن هذا الشخص لا يليق للحكم، فالوليد كان معروفاً بالحماقة وبالفساد! وهذا الوليد نزلت بشأنه الآية القرآنية ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا﴾ وقد أسماه القرآن "فاسق". وكان ذلك في زمن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم".

لاحظوا المعايير والقيم وتغير مواقع الناس. وهذا الشخص الذي ورد ذكره في القرآن باسم "فاسق"، أصبح في ما بعد حاكماً!"(١).

"انني اعترف بعد عشر سنوات من انتصار الثورة الإسلامية ان بعض القرارات التي اتخذت في بداية الثورة في تسليم المناصب والامور المهمة في البلاد لفئة لم تكن لديها عقيدة خالصة وحقيقة للاسلام المحمدي الأصيل، كانت خطأ، ولا تزول مرارة آثارها بسهولة، ورغم انني لم أكن راغباً آنذاك في تصدي اولئك للمسؤوليات، ولكني قبلت بذلك بعد موافقة الأصدقاء، واني اعتقد الآن أيضاً ان اولئك لا يقتنعون بشيء أقل من انحراف الثورة عن جميع مبادئها والتحرك نحو أمريكا الناهبة للعالم، وفي حين أنّهم لا يجيدون غير الكلام والادعاء.

... نحن إلى الآن نعاني من آثار ثقتنا الكبيرة بالمنظمات والليبراليين...

وهناك مسألة مهمة في هذا الصدد وهي انّه يجب ان لا تؤدّي بنا الرأفة في غير محلها تجاه اعداء الله، والمعارضين للنظام، إلى قيامنا بالتبليغ بشكل يثير الشك بأحكام الله والحدود الإلهية. واني أرى أن بعض هذه الموارد ليست في صالح البلد، وأن الأعداء يستفيدون منها.

واني أقول بصراحة للذين يعملون في الاذاعة والتلفزيون والصحافة، الذين قد يطرحون كلام الآخرين: لن أدع الحكم يقع في أيدي الليبراليين، ما دمت حيّاً.

ولن أدع المنافقين يعملون للقضاء على دين هذا الشعب الأعزل، ما دمت حيّاً.

لن أعدل عن مبدأ لا شرقية ولا غربية، ما دمت حيّاً.

سوف أكفّ أيادي عملاء أمريكا والاتحاد السوفيتي في جميع المجالات ما دمت حيّاً، ولديّ اطمئنان تام في أن جميع أبناء الشعب يدعمون النظام والثورة الإسلامية، كما في السابق"(٢).

---

(١) آية الله الخامنئي، الخطبة الأولى لصلاة الجمعة.

(٢) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف"، صحيفة النور، الجزء٢١، ص٩٦.

عاشوراء، حصيلة عدم التحليل الصحيح

والغفلة، عن قضايا المجتمع الإسلامي

أشار أمير المؤمنين علي "عليه السلام" خلال حرب صفّين في خطبة ألقاها إلى مسألة يكمن فيها اليوم سرّ البقاء في جبهة الحقّ وسرّ السقوط في جبهة الباطل.

قال "عليه السلام":

"ألا ولا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر والصبر والعِلم بمواضع الحق".

ان ساحة المواجهة بين الحق والباطل، ساحة مستمرة وليست محدودة بزمان ومكان خاصّين. انّ من لديه بصيرة صحيحة ويكون صابراً على طريق الحق، يثبت ويقاوم في صف الحق في هذه الساحة، ومن يفتقد إلى هاتين الصفتين لا يتمكن من حمل راية الحقّ في المواجهة مع الباطل. ان سرّ السقوط من الحق والارتباط بتيار الباطل، عدم امتلاك بصيرة كافية وصبر يمثل امتداد لتلك البصيرة ومن لوازمها الاولية، ونتيجة البصيرة ترتبط بالصبر ويمكن أن يصبح الصبر مقدمة للبصيرة.

وفي المتغيرات التي تحصل في المجتمع الإسلامي والوقائع التي لابد منها يجب دائماً أن يتزود الذين ينتابهم قلق على عقابتهم والذين يهمهم البقاء في جبهة الحق، برؤية وتحليل صحيح للوقائع. ولا تنحصر الرؤية والتحليل الصحيح، في صلاة الليل وتلاوة القرآن، فالخوارج لم ينقصهم شيء من هذه الخصوصيات، وكانت جباههم سود نتيجة السجود الطويل في الليل، وكانت ألسنتهم مشغولة دائماً بتلاوة القرآن، ولكنهم لم يكونوا يعرفون الحق ولا محوره، أي الإمام علي "عليه السلام"، كما انّهم لم يكونوا يعرفون الباطل ولا مركزه، أي معاوية. ولا ينفعهم القرآن حين يُفصل عن العترة، وكانت عاقبتهم أنّهم باعوا دينهم ورحلوا ظالمين إلى الديار الباقية.

ولمّا رفع العدو قميص عثمان على رايته علامة على المطالبة بدمه، واتّهم الإمام علي "عليه السلام" بدعم قاتلي الخليفة الثالث، اتضح من كانت لديه بصيرة ومن كان أعمى! وتبين من هم أهل البصيرة عندما رفعوا المصاحف على أسنّة الرماح

ودعوا جيش الإمام علي "عليه السلام" إلى المباحثات حول محور القرآن. ومن لا يميّز بين الإسلام ذي اللون والرائحة السفيانية وبين الإسلام المحمدي الأصيل، لا يمكنه فهم هذه الحوادث بصورة صحيحة.

قال الإمام علي "عليه السلام":

"وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العَلَم إلاّ أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق".

لماذا جاء أهل القبلة والمسلمون لمواجهة الإمام علي "عليه السلام"؟ انّ الترغيب والترهيب والاعلام تؤثّر في نفوس الّذين لا يعرفون الموقف الصحيح. لقد ترك الخواص الذين كانوا عالمين بالموقف الصحيح، الحق بسبب حب الدنيا وزخارفها وأصبحوا باطلاً أمام الحق، أما عامة الناس والأشخاص الذين كانوا مقرّبين إلى الخواص فقد خدعوا نتيجة عدم امتلاك البصيرة وهي التحليل الصحيح للوقائع.

ان أكثر الناس تعميهم الدنيا. قال الإمام علي "عليه السلام":

"أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع".

وبعض الناس يخدعهم الجهل بالدنيا ومنعطفاتها ودورانها:

"من أبصر بها بصّرته ومَن أبصر إليها أعمته".

انّ الوساوس والنفوذ في المكاتب وايصال المعلومات بصورة خاطئة وطرح الشبهات وايقاد نار الحسد واللجاجة والالاعيب السياسية، كلها أعلام باطلة وأسباب عمى القلب ومدعاة إلى التحجر أو التجدّد، الافراط أو التفريط، التأخر عن الإمام والمدار الحق أو التقدم عليه، الهلاك أو الضلال.

وفي أي طريق يسير من يستهزئ بكلام الإمام حين قال: تكلموا بصورة لا تُسر العدو ولا يستفيد منها لصالحه، ومن يفكر بتصفية حساب شخصي وفئوي في زمان عداء الاستكبار العالمي وبغضه وهجومه!! ومن يعتبر الثبات على مبادئ الثورة وقيمها، خلافاً للدبلوماسية والعرف الدولي ويرى ان زوال تلك الحالة يؤدّي إلى

رفع المشاكل وتحقيق الرفاه!! وهل هذا هو طريق البصيرة والصبر والموقف الصحيح أم لا؟

ان طريق البصيرة والحصول على تحليل صحيح، يتمثل في عدم الوقوع العوبة في أيدي ذوي الالاعيب السياسية وعدم التأثر بما يطرحه الاعداء من أفكار وعدم إعطاء المجال لنفوذ الأعداء في المكاتب والعمل بتدبير وسعة صدر ووعي ودراسة والتفكير على ضوء الحق وليس على ضوء الشخصيات واختبار كلّ شيء على أساس الحق، ومداراة الإمام والفقيه العادل، وعلى رأس كلّ هذه طاعة الأوامر والنواهي الإلهية، والاتصاف بالحمية على القيم الدينية والنهي عن المنكر، وبعبارة ملخصة، التقوى في كلّ أبعادها.

انّ الإمام المعصوم يعلّم الشيعة، الرؤية حينما يشير إلى أن معيار معرفة كلامه وأوامره هو انطباقها مع القرآن، ويدعو إلى ضرب الكلام بعرض الحائط عندما لا ينطبق مع القرآن.

وفي هذا الاختبار يلقى كلام الآخرين في سلّة المهملات بطريق أولى، إذا لم يكن منطبقاً مع الوحي الإلهي.

لقد سعى قطاع الطرق الفكرية سنين طويلة إلى حصر التعليم والعلم والوعي والمعلومات في اطار تيارهم الخاص كي يسود نهجهم. وهكذا كان الحال في العصر الجاهلي في مكة، وكان أبو سفيان يحمل على التشخّص وقد حطّم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وثن الجاهلية ذلك، وصنع من المسلمين أشخاصاً واعين، غيورين، موحدين، متعبدين ومن أهل التشخيص وليس التشخص. وفي أيام الجاهلية البهلوية رفع المتعلّمون راية قطع الطرق على قمة ٢٥٠٠ سنة من الجاهلية الشاهنشاهية وحافظوا عليها لفترة خمسين سنة، وقام الإمام الخميني "قدس سره الشريف" بتحطيم وثنهم، وصنع من الشعب الايراني، شعباً سياسياً، متديناً، متواجداً في الساحات، محارباً للعدو وعارفاً له، مضحّياً ومحبّاً ومطيعاً للولاية، ودفع شباب هذا الشعب إلى

قمة العرفان والاتصال بالمحبوب والمعبود، واتحدت جميع الفئات والجمعيات وأصبح حزب الله أمام حزب الشيطان، وأصبح الإسلام كلّه أمام الكفر كلّه.

ولا يزال صوت محطّم في زمانه يرن في الأذان، حيث قال في بداية الثورة عندما اتحد الأعداء لاستئصال الثورة وتأسست مئات المنظمات وبدأت كلّ منظمة تطرح أهدافها، وتعرضت وحدة المجتمع إلى الاهتزاز نتيجة النزاعات السياسية بين العناصر غير المرغوب فيها: انّكم ليست لديكم رؤية سياسية، فالوقت حالياً ليس وقت نزاع. والاختلاف وافشال الوحدة، أكبر معصية ومن الذنوب الكبيرة... وخاطب أصحاب الاقلام قائلاً: كثيراً ما تكون هذه الأقلام، قلم الشيطان وهذه الألسن، لسان الشيطان، في حين ان أصحابها يصلّون صلاة الليل و...

واليوم استاء الخنّاسون وهم يرون انّ الثورة الإسلامية كما كان الحال في صدر الإسلام، تتعامل مع الجميع في المجال الاقتصادي، بالمساواة والعدالة، واعترت التقوى معياراً للأفضلية من حيث الصلاحية وأكدت على الادارة الإيمانية والعلمية معاً. ويبحث اولئك عن مائدتهم المخزية في عهد الجهالة البهلوية من دون أن يفكروا بالشعب وهم لا يعرفون الحرية ولا العلم ولا العقل وليست لديهم قناعة بهذه المقولات. وهم يريدون افتعال الموجة وركوبها.

ويثيرون النزاع للقضاء على وحدة الشعب، ويثيرون الشبهات من أجل إضعاف الإيمان، ويضخّمون القضايا البسيطة رغبة منهم في صرف اهتمام الناس بالقضايا الأساسية والمهمة.

وإزالة الحدود الحمراء للنظام وقيمه من أمام التنمية. وهم مغرورون وأنانيون وفي نفس الوقت مرعوبون ومجذوبون. يتكلمون كثيراً من دون فعل وينتظرون جرس شخص ثمل مثل رضاخان كي يحصلوا على أمانيّهم في ظلّ فساده. وكلّ اولئك تمّ اختبارهم، وتاريخنا مشحون بهذه الاختبارات منذ المشروطة حتى الآن.

انّ العمل السياسي أمر واللّعبة السياسية أمر آخر. والرؤية السياسية أمر آخر. والرؤية السياسية مقولة تختلف عن التعلّق السياسي. ان الرؤية والتحليل الصحيح

للوقائع ضرورة كي لا يتحقق تكهّن الإمام الراحل لا سمح الله حيث توقع أن حكم إعدام سلمان رشدي قد ينظر إليه بعد عشر سنوات نتيجة بعض التحليلات انّه خلاف للمصلحة الإسلامية ومصالح ايران!! والتحليلات المنحرفة موجودة دائماً. وكانت موجودة في زمن الحرب وقد اعتذر الإمام لعوائل الشهداء من وجود مثل تلك التحليلات.

انّ الرؤى والتحليلات يجب أن تعرض على معيار الحق، وإذا لم تنطبق عليه، فإنّ القمامة مكان مناسب لها. والمعيار هو الحجّة التي ذكرها ولي العصر، أرواح العالمين له الفداء، للأُمّة، أي الفقيه الّذي ليس لديه تعلّق بالدنيا وعالِم بالاسلام، والّذي صان نفسه من الرذائل، والواعي والمطيع لأمر الله، والإمام صاحب الزمان "عليه السلام". وهو حجّة على الأُمّة، والإمام صاحب الزمان "عليه السلام" حجّة عليه، وعلى الجميع عرض رؤاهم وتحليلاتهم عليه، والطلب منه تحديد صحتها وسقمها. وكان يجب طاعة الإمام علي "عليه السلام" حين دعا إلى عدم الانخداع برفع العدو للمصاحف على رؤوس الرماح، كي يفشل العدو. وقد أدّت الوسائط إلى الهوّة دائماً. وحزب الأشعث أصبح واسطة الجيش مع الإمام. وكان حزبه يرى ان أقواله، هي أقوال الناس وضغط على الإمام وقام بنشر موقفه في جيش الإمام ليطلب الجيش من الإمام نفس ذلك!!

انّ العلاقة بين الإمام والأُمّة مباشرة ومتّصلة، ورغم سعي الوسائط لإقامة الهوّة عن طريق الأقلام والألسن، ولكنها لا تزال فاشلة وخاطئة في تقييم حب الشعب للقائد. وصية الإمام السياسية الإلهية، أمام جميع الأجيال، وتقيّم تحليلات أية شخصية وفئة وتيار على أساس نص هذه الوصية وعلى أساس رأي القائد الّذي أكّد دائماً على نهج الإمام واعتبر وصيّة الإمام معياراً.

وتبين كربلاء، صفّاً من الجهلة الّذين ليست لديهم بصيرة، وقف إمام الحسين "عليه السلام" وأصحابه القلّة. صفّ يعتبر يزيداً أميراً للمؤمنين، والحسين "عليه السلام" عدوّاً وخارجيّاً!! فأين الانطباق بين هذه الرؤية والبصيرة؟ وكيف ابتليت

الأمّة التي قام النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بتربيتها، بهكذا جهالة وحماقة وقصر نظر.

وقد لعبت النزعة القومية، والرغبات المتبقية من الجاهلية والأحقاد والعناد الناجم عن طي مائة الكفر والشرك ورسوبات الأفكار الجاهلية ونفوذ أقطاب السلطة، دوراً في هذا التغيير.

وأين ذهب الشخص الّذين أخرج سيفه من الغمد أمام الخليفة الثاني وقال له: اقوّمك بهذا السيف إذا انحرفت عن الإسلام؟! ولماذا لم تُخرج السيوف من الأغماد للوقوف بوجه كلّ ذلك انحراف والظلم والبدعة والفساد؟ انّ البصيرة كانت تدفع اليد إلى السيف وتعرف العدو وتستهدفه وقد دفنت تلك البصيرة تحت بيادر خراج الجاهلية الجديدة.

وفي كربلاء أخرج أصحاب الأيدي الملوّثة، سيوفهم من الأغماد لتسجيل عدم بصيرتهم في التاريخ. وليصدّق العلم انّ السعادة تتحقق في أية لحظة وأي زمان وأي مكان تقترن فيه البصيرة مع الصبر.

وكانت أراجيز أصحاب الحسين "عليه السلام" مظهراً لبصيرتهم ووعيهم وعلمهم وإيمانهم ويقينهم. ولم يرتجز العدو لأنّه لم تكن لديه بصيرة. والشعارات دليل على البصيرة والشعور. والشعائر الإلهية، هي شعور المؤمنين، وبصيرتهم هي عظيم هذه الشعائر. ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب﴾[1].

وقد عرضت كربلاء تفتت البصيرة في هيكل الأُمّة الإسلامية. وأعلنت كربلاء، انهيار النظام الملوّث بالإسلام السفياني.

وألقت كربلاء أرضاً، بدن الناس الّذين اُصيبوا بمرض الجهل.

وأوضحت كربلاء، عاقبة انفصال الأُمّة عن الإمام، وانفصال الفكر والسياسة والرؤية، عن محور الحقّ.

---

(١) سورة الحج: ٣٢.

"لقد قلت مراراً في ما يتعلق بقضايا التاريخ الإسلامي، ان الأمر الّـذي أدى إلـى عدم انتصار الإمام الحسن المجتبى "عليه السلام"، كان عدم وجود التحليل السياسي لدى الناس. وأدى عدم وجود التحليل السياسي لدى الناس إلى وقوع فتنة الخوارج والضغط على أمير المؤمنين "عليه السلام" وممارسة الظلم بحق أقـوى انـسان فـي التاريخ. ولم يكن كلّ الناس بلا دين، وانّما لم يكن لديهم تحليل سياسـي. وعنـدما كان العدوّ يفتعل إشاعة، كانت تنتشر بسرعة في كلّ مكان ويصدّق بها الجميع.

لماذا كان الحال هكذا؟ لو كان لدى الناس وعي لازم لكانت إشاعة العـدو مثـل جليد تحت اشعّة الشمس"(١).

لقد وصف هؤلاء ابن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ابن فاطمة الزهراء عليها السلام، ابن أمير المؤمنين "عليه السلام"، خارجاً على الإمام العادل ـ وهو يزيد ابن معاوية ـ!

لماذا يصدّق الناس بما يقوله جهاز الحكم الظالم!؟ لماذا يسكت الناس!؟ ان هذا الأمر يقلقني، هل انّكم ملتفتون؟ أقول ماذا جرى حتّى وصل الأمر إلى ذلك الحال؟ ولماذا غفلت الأُمّة الإسلامية وتهاونت إلى هذا الحدّ في هكذا قضيّة واضحة حتّـى وقعت تلك الفاجعة، في حين انها كانت تهتم كثيراً بتفاصـيل الأحكـام الإسـلامية والآيات القرآنية؟! ان هذه المسألة تقلق الانسان. وهل نحن أقوى من المجتمع الّذي كان في عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وأمير المؤمنين "عليه السلام"؟"(٢).

---

(١) آية الله الخامنئي، صحيفة الجمهورية الإسلامية.

(٢) آية الله الخامنئي.

عاشوراء حصيلة الأجواء المسمومة

والاعلام المذموم

لعلّ أعجب مشهد في يوم عاشوراء، هو المواجهة بين فئتين، كان كلاهما يؤمن بالإسلام، ظاهراً، ويصلّيان باتجاه قبلة واحدة وتلقّيا الهداية من كلام وسيرة نبّي واحد. ورغم انّ الحال كان هكذا في الجمل وصفّين والنهروان. ولكن كانت هناك مؤشرات لعاشوراء تجعلها أبرز من تلك التي ذكرناها.

انّ الّذين اتقدت في قلوبهم نار الحقد والانتقام نتيجة حب السلطة، يعلمون انّه يجب أن يخفوا وجههم الحقيقي عن خلق الله، لعلّهم يخدعون المتدينين ويكسبوهم إلى جانبهم إضافة إلى غير المؤمنين بالدين والأحكام الإلهية.

وعندما كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" يتلو على الناس آيات الهداية الإلهية، كي يخرجهم من الظلمات الجاهلية والنفسانية إلى النور الربّاني، صمم الكفّار المتعطّشين للسلطة والخائفين من اضمحلال رئاستهم، على الحيلولة بأي شكل ممكن دون وصول كلام الله، إلى نفوس عباد الله. وبدوا في البداية بمواجهة إعلامية وثقافية. وكان هجومهم المدروس يستهدف تسميم الأجواء الفكرية للمجتمع بالشكل الّذي لا تسمع فيه الآذان كلام الحق ولا تصل القلوب المشتاقة إلى الحق، إلى ما تريد في أجواء ملوّثة ومليئة بالضجيج.

فقالوا انّ محمّداً "صلى الله عليه وآله وسلم" مجنون، وما يقوله ليس من الله، ومن تلقين العجم، والقرآن الّذي يتلوه هو شعر، وهو ساحر والقرآن سحر، ونشروا هذه التهم في مكة لعلهم يهتكون قدسية محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" وكلام الوحي واظهاره مثل المهملات البشرية ليدفعوا المتعطشين للهداية إلى بُرك وحل نفوسهم، وقد فاتهم ان الله القادر المتعال، يدخل القرآن إلى القلوب ويحطّم سدودهم الضعيفة بارادته وعن طريق الوحي.

وقالوا: ضعوا الأصابع على الآذان كي لا تسمعوا كلام محمد "صلى الله عليه وآله وسلم". ولكنّهم لم يعلموا ماذا يفعلوا تجاه آذان الروح.

وقالوا: ارفعوا الأصوات والهمهمة كي لا يصل صوت محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى أسماع الناس، ولكنّهم لم يعلموا ماذا يفعلوا تجاه نفوذ عطر دين الله، وعبده الخالص محمد "صلى الله عليه وآله وسلم".

ومنذ ذلك الزمان كانت تلك الطريقة تُجرّب بين فترة واُخرى، وقد استخدمت طريقة تسميم الأجواء الفكرية للمجتمع والاعلام الكاذب والمنحرف في قضية السقيفة وفي زمان عثمان وفي المواجهة بين مظهر الحق والعدالة، علي "عليه السلام" وبين مظهر الخبث والخيانة، معاوية، وفي المظلومية التاريخية للامام الحسن المجتبى "عليه السلام"، وكان أمضى سلاح أدّى إلى مظلومية معسكر الحقّ، واستشهاد الإمام علي "عليه السلام" في محراب العبادة، وعض البعض على أصابعهم متسائلين ماذا يفعل علي "عليه السلام" في المسجد؟! وسقطت قطع كبد الحسن بن علي "عليه السلام" في الطست بينما كان يسميه البعض مُذلّ المؤمنين؟!

وفي كربلاء حيث وقف صفّان من المسلمين، نضجت أيضاً الثمرة المرة والمشؤومة للأجواء المسمومة.

والعجيب انّ الجميع كان يعلم من هو الحسين، وإذا كان في جيش الظلمة ذلك من لا يعرف النور، فإنّ الحسين "عليه السلام" قام بالتعريف بنفسه. فوضع عمامة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" على رأسه وارتدى عباءته، وعرّفهم بنفسه وأبيه واُمّه وجدّه رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وذكّرهم بذكريات حبّ النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" للحسين، وذكّرهم بأقوال لجدّه. لماذا قال الحسين "عليه السلام" ذلك، ولماذا ذهب بتلك الهيئة نحو اولئك القوم؟ لقد قام بذلك لإزالة الشبهة والترديد.

لقد قامت الألسن والأقلام الفاسدة لبني اميّة والنفوس المريضة التي التفت حول هذه الطائفة طمعاً في الشهرة والطعام، بافتعال أجواء من الشك والترديد والشبهة

والتهمة والكذب والاشاعة ضد الحسين "عليه السلام" وأصحابه القلّة والتظاهر بالقوّة والشوكة والرحمة والإدارة ومداراة الناس وحب الإسلام، وما عدا بعض الناس الّذين كانوا يدركون الحقيقة ولكنهم اختاروا العزلة وفئة قليلة بقيت مع الحسين "عليه السلام" وصنعت عاشوراء، انخدع بقية الناس بالاعلام وصدّقوا انّ الحسين "عليه السلام" خارجيّ!! وصدّقوا أنّه ثار على أمير المؤمنين، يزيد، خليفة رسول الله!! وصدّقوا انّ محاربة الحسين "عليه السلام" توجب رضا الله!! وقد بلغ تصديقهم هذا حدّاً بحيث انّ الّذين لم تكن لديهم سهام وأقواس كانوا يملؤون ثيابهم من الحجر ويحملون ألواح الخشب كي لا يُحرموا من ذلك الثواب العظيم!! وأخذ الّذين كان لديهم خيل كيس شعير وأسرع الّذين لم تكن لديهم خيل، إلى كربلاء، من دون تلك الحصة القليلة كي يأخذوا حصصهم من مائدة قتل الحسين!! وكان زعماء ذلك الجيش، أي الخواص يعلمون ماذا يفعلون، فكانوا يعرفون الحسين "عليه السلام"، ويعرفون يزيد، وكانوا يطمعون في حكم بلاد المسلمين، والدراهم والدنانير في القصر الأخضر في الشام. أما عامة جيش ابن زياد فكانوا استنشقوا هواء أدى إلى حجب قلوبهم بحجاب الغفلة والجهل.

وتجلّت في ساحة كربلاء تجربة كلّ تاريخ الكفر في تلويث أجواء المجتمع، وكان بروز عاشوراء في هذه المسألة وهي انّها كانت تحمل الّذروة في كلّ بُعد من أبعاد حادثتها.

ومنذ أن أمر غاصبو الغدير بمنع رواية أحاديث رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، فُتح طريق نشر الأكاذيب. وقد تشوشت الأذهان واضطربت القلوب نتيجة وضع أكثر من أربعين ألف حديث، من قبل المتضررين من الإسلام الأصيل. وقامت الحكومة الشعبية في الظاهر والتي تم انتخابها باسلوب الديمقراطية من منظار السقيفة، بعدم اطلاع الناس على الوقائع السياسية والحوادث. ورغم انّ القلوب كانت مع أهل البيت "عليهم السلام" إلاّ أن تزوير أهل السياسة وموجّهي الرأي العام دفع ألسن الناس وسيوفهم في مسير أهداف اولئك، وأبعدهم من أهل البيت "عليهم

السلام" كي لا يشموا عطر الإسلام النبوي الأصيل، أو يكون تأثيره قليلاً. وهكذا فقد الناس التحليل السياسي. ان ما طرحته الأقلام والألسنة الفاسدة في ذلك الزمان من أحاديث موضوعة، لا تزال حتّى الآن يعاني منها العلماء والحوزات والناس، وهناك فرع من الفقه الإسلامي يعالج تمييز الصحيح منها عن السقيم، وأصبحت السقيمة منها وسيلة لدى المعاندين والّذين في قلوبهم مرض تجاه الإسلام، كي يقوموا عن طريق التمسك بها، بضرب الحوزات والعلماء الّذين هم حرّاس الإسلام.

ومن الأفضل أن نطّلع بصورة أفضل على ما جرى على الناس في ذلك الزمان وندرك الدور التخريبي في إيجاد أجواء الشبهة والترديد من قبل أقلام وألسن المرتزقة. ولو قلنا ان رأس الحسين "عليه السلام" وأصحابه الأوفياء رُفعت على أقلام المرتزقة وطيف بها في المدن لما قلنا قولاً جزافاً. ان الأقلام تلوّن خراب الباطل بلون جذّاب، وتعطّر الأقلام وحل الفساد وعفونة الشهوات، بعطر الحرية، وترفع الأزمّة عن النفوس الأمّارة بالسوء، وتُبعد الأقلام الحقّ عن القلوب والأفكار، من خلال طرح الشبهات الباطلة.

وتقوم الأقلام عن طريق إثارة النزاعات، بعزل فئة وزرع اليأس لدى فئة أُخرى وتشجيع جماعة على اتخاذ مواقف متشددة كي تهيأ الأرضية للأثرياء والمتغطرسين الّذين سخروا الأقلام لخدمة مصالحهم، وترتكب الأقلام ظلماً، حيث يصل شخص عن طريقها إلى الحكم ظُلماً، وتشهّر بحاكم مظلوم.

لقد أُستخدم القلم لإتهام الإمام علي "عليه السلام" بقتل عثمان، واظهار معاوية مطالباً بدمه!!

واستخدم القلم لإظهار الإمام علي "عليه السلام" شديداً وقاسياً ومستأثراً!! وإظهار معاوية رؤوفاً!

واستخدم القلم في وصف الإمام الحسن "عليه السلام" بصفة مذلّ المؤمنين، ووصف معاوية بصفة معزّهم.

واستخدم القلم في إحاطة سيرة رسول الله بعدد كبير من الأحاديث الموضوعة حتى ضحّى الإمام الحسين "عليه السلام" بنفسه وأصحابه في كربلاء وسُبي أهل بيته، من أجل إيضاح تلك السيرة.

واستخدم القلم في وصف يزيد بصفة أمير المؤمنين، ووصف الحسين "عليه السلام" بخارجي!!

واستخدم القلم في وصف تناول الخمر والزنا وتربية الكلاب وتكديس الثروة وتعيين غير الصالحين في الامارة وعدم الالتزام بالأحكام الإلهية، بالإسلام السمح والسهل، ووصف التشدد ازاء بيت المال والعدالة الاجتماعية والتقيّد بالقيم الإلهية والإلتزام بالأحكام الإسلامية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم المساومة مع أعداء الإسلام والمستكبرين، بالاسلام المتعصب، ولذلك أصبح معاوية، أمير المؤمنين الرؤوف الّذي يداري الناس، وعلي "عليه السلام" متعصباً ومتشدداً!!

انّ الحرية التي يريدها معاوية، لا يمكن أن تترتب عليها غير هذه النتيجة. واين هذه الحرية من الحرية التي جاء بها رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"؟! لقد كانوا هناك أحراراً من الاستكبار ومن النفس الأمّارة بالسوء ومن عبادة الناس ومن الحقارة والذلّ أمام الثروة والمنصب والشهوة ومن الكذب والخداع ومن الحرام وترك الواجب، وهنا أحرار من طاعة الله ومن المقدسات ومن الحدود الإلهية ومن الصدق، ومقيّدون بالمصالح الشخصية والفئوية والخضوع للشهوة والمقام والثروة، وكان ذلك هجوماً منظماً على العقائد والقيم التي جاء بها رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم".

وجاء الحسين "عليه السلام" إلى الساحة لافشال هذا الهجوم. ووقف صف الملوثين بالدرهم والدينار والغافلين عن وساوس الأقلام والألسن الفاسدة، أمام الحسين "عليه السلام"، مثل تل من الرمل، وسمع اتمام حجته. وكان عمر بن سعد يدرك ان بريق المسكوكات الذهبية والوعود في تسليم حكم الاقاليم، أدّت إلى قساوة قلوب آمري جيشه، واثر الاعلام المدروس في أفراد جيشه. ولغرض تجنب

أي احتمال، أمر جيشه بأن يهلهلوا كي يضيع صوت الحسين "عليه السلام" وسط الضجة.

لماذا يُسمح بتلويث الأجواء؟ وما هو تبرير اعطاء القلم بيد من لا يريد الحقّ ولا يُجيد غير اثارة الشبهة وزرع الحقد والحسد والعناد في اطار الألفاظ؟ وهل ان اضلال الناس، حرام شرعاً أم لا؟ وهل ان عقل الناس وقلوبهم وأعمارهم ودنياهم وآخرتهم وإيمانهم، ساحة للاختبار؟ وهل ان هدفنا رضا الأعداء واذن الدخول إلى الحضارة الغربية، أم رضا الله تعالى؟ وعندما تكثر الأقلام وتتحرك الألسن في الأفواه غير السليمة، تحصل نفس الضجة التي قام بها الكفّار في زمان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، واستخدمها جيش عمر بن سعد في كربلاء.

وعبرة المشروطة أقرب من عبرة عاشوراء. فقد قامت مئات الصحف في بداية المشروطة بنشر موجة من الثقافة الغربية في أذهان وقلوب الناس المحبين للعدالة. كم وجّهت اهانات للاسلام، وكم أُلصقت تهم للعلماء الواعين الّذين شخّصوا خدعة أصحاب تلك الصحف، وكم عملوا في مجال قلب الحقائق، وكم عملوا في تضخيم قضايا بسيطة وتناسوا قضايا كبرى ومبدئية. لقد تناسوا عدوّاً خطيراً مثل انگلترا وروسيا، واعتبروا المتدينين المؤمنين، عدوّاً للبلد والشعب، وكانت النتيجة اعدام الشيخ فضل الله نوري، المجتهد العظيم في طهران، في ساحة "توپخانه" وصفّق الناس في الساحة اشارة إلى الانتصار على الاستبداد!! وأصبح الشيخ فضل الله نوري، مظهراً للاستبداد، وأصبح اتابك ويبرم الارمني وتقي زاده الغربي، من أنصار الحرية!!

انّ الحرية التي تكون بدايتها انتهاك قدسية الحق وأهل الحق والشبهة في المبادئ العقلية والإلهية المسلّمة، تكون محلاً لقتل الحسين "عليه السلام". والحرية التي يكون أحد اطرافها في عليقة أعداء الإسلام، وطرفها الآخر لدى المتأثرين المرعوبين بالمال والقوّة، نتيجتها قلوب قاسية تسرع إلى كربلاء كي لا تتأخر عن قتل أهل البيت ونهب أموالهم!!

ولماذا تُحرم في الإسلام، الّذي تعتبر فيه حرية الانسان من القيود غير الإلهية، مبدءً مسلّماً، الدعوة إلى الكفر والشرك والنفاق وهُدّد زعماء ذلك بالعقوبة الشديدة في الدنيا، أي القتل، والعقوبة الأبدية في الآخرة؟ ولماذا هناك أمر بكسر الأقلام التي لا تحافظ على حرمة الأنبياء ورسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" والأئمّة الأطهار والأحكام الإسلامية الضرورية، وتقوم بانتهاك الحرمة؟ أليس هذا بسبب انها جنود ابليس ومنعها يعني صيانة سمو مكانة الإنسانية وصيانة حرمة الهداية نحو السعادة؟ وأي عقل سليم لا يقبل بهذا؟ ويسمح للأدغال بالنمو والتكاثر في الزرع الّذي بذلت عليه جهود كثيرة؟

وفي هكذا رؤية يعتبر سلمان رشدي مرتداً، وقتله واجب، ولا تقبل توبته. وقلمه أجير للاستكبار، ويريد الاستكبار من خلال اهانة المقدّسات الإلهية، قطف ثمرة الإيمان من قلوب المسلمين. وإذا لم يتلق هكذا ضربة مؤثرة، فإنّ تكرار كربلاء لا يكون بعيداً عن متناول أيديهم.

ان ما يترتب على الأجواء المسمومة والاعلام المذموم هو نفس ما يترتب على الأدغال الّتي تنمو وسط الزرع، ولا ينفع العض على الأصابع إذا لم تتم الوقاية والعلاج في الوقت المناسب. وعاشوراء ساحة عبرة للعيون البصيرة.

وهذا زاد من تلك العبر لهذا اليوم حيث ان عاشوراء تتكرر إذا تهيأت فرصة ظهور لتلك العوامل.

"لو أننا عملنا بصورة ثورية منذ البداية، عندما اسقطنا النظام الفاسد وهدمنا ذلك السد الفاسد جدّاً، وقمنا بايقاف صدور جميع المجلات الفاسدة والصحافة الفاسدة، وقمنا بمحاكمة رؤسائها، واعلنّا منع نشاط الأحزاب الفاسدة، وعاقبناهم ونصبنا أعواد المشانق في الساحات الكبرى وحصدنا المفسدين والفاسدين، لما وقعت تلك المشقات...

اني أتوب من هذا الخطأ الّذي ارتكبته، وأعلن لهذه الفئات الفاسدة في أنحاء ايران اننا سنتعامل معها بصورة ثورية، ان لم يكفوا. لقد قام مولانا أمير المؤمنين

"عليه السلام"، ذلك الرجل النموذجي في العالم، ذلك الانسان بمعنى الكلمة، ذلك الشخص الّذي كان بذلك الشكل في العبادة وبذلك الشكل في الزهد والتقوى وبذلك الشكل في الرحمة والمروّة وبذلك الشكل مع المستضعفين، بسل ـ السيف ـ لمحاربة الّذين يتآمرون وقتل في يوم واحد (كما رُوي) سبعمائة شخص من يهود بني قريظة الّذين كانوا يشبهون الصهاينة، ولعلّ هؤلاء من نسل اولئك.

انّ الله تبارك وتعالى رحيم في موضع العفو والرحمة، وشديد في موضع الانتقام، وكان إمام المسلمين هكذا أيضاً. الرحمة في وقت الرحمة، وفي وقت الانتقام انتقام. ونحن لا نخاف أن يكتبوا ضدنا شيء في الصحف السابقة وفي الصحف التي تصدر خارج ايران، ونحن لا نريد وجاهة في ايران... وفي خارج البلد، نريد أن نعمل بأمر الله وسوف نعمل"[1].

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" ـ صحيفة النور ج٨ ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

عاشوراء، حصيلة الحوار مع الخبيثين

والمعاندين والأعداء وطلب الفرصة منهم للاختيار!!

كان من بين زعماء الجيش الّذي جاء من الكوفة إلى كربلاء لأخذ البيعة من الحسين "عليه السلام" ليزيد بن معاوية، أو يقتل هو وأصحابه وترفع رؤوسهم على رؤوس الرماح وتحمل إلى دار الخلافة في الشام، اشخاص كانوا يظنون انّهم سيتخلصون من ورطة المواجهة مع الحسين "عليه السلام" من خلال القبول بحوار قصير مع ابن زياد، وقد فاتهم ان هذا الظن الساذج، كان بداية سقوطهم في فخ الوساوس التي يجيدها أصحاب الشيطان ويقومون بحرق نفوسهم بنار الحرص والخوف، بعد الاطلاع الدقيق على نقاط ضعفهم.

﴿انّه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[1].

لماذا الحوار مع الكفر والباطل والظالم؟ وعلى أي محور؟ ومن قبل من؟ وبأي معيار؟ ولو كان هاني بن عروة، الّذي دعاه ابن زياد إلى دار الخلافة في الكوفة للتباحث معاً فترة قصيرة، فكّر قليلاً وتساءل مع نفسه عن ما هو الكلام الّذي يُراد ان يُطرح بينه وبين ابن زياد، ولو فكّر في شخصية بن زياد وأدرك البغض والعداء الّذي كان يشتعل في نفسه وراء ظاهره الماكر وتبسّمه، لما قبل بتلك الدعوة أبداً ولما وضع نفسه بهذه السهولة تحت تصرف ابن زياد المكّار، ولما خُدعت قبيلته بشهادة الزور التي سمعتها من شريح القاضي، ولعلّ حادثة كربلاء ما كانت وقعت بذلك الشكل.

ولما أرسل الإمام علي "عليه السلام"، ابن عباس إلى الخوارج في النهروان للتحاور معهم، لعلّه يعيدهم إلى طريق الحق، أوصاه قائلاً:

---

(١) الأعراف: ٢٧.

"لا تخاصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول، ويقولون، ولكن حاججهم بالسنّة، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصا".

ونلاحظ انّ التباحث له طريق ومعاير، وحينما يكون كلام حبر الأُمة في مجال العلم والقرآن، مع مسلمين مخدوعين وضالين، بلا نتيجة، فإنّ عليه أن يتكلم عن سيرة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، التي رآها الخوارج ويتذكرونها، أي عن تاريخهم المعاصر، وهو أمر لا جدال فيه. وفي حرب الجمل، ذهب الإمام علي "عليه السلام" للالتقاء بطلحة والزبير، ودعا كلّ واحد منهما على حدة وتحدث معهما وذكّرهما باحاديث رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وحذّرهما من أن يموتا منحرفين ﴿ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾.

وقد رفض سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف" الّذي كان يتصف برأفة ورحمة ورقّة قلب تجاه الصديق، دعوة المنافقين للالتقاء به والتباحث معه في عام ١٩٨١، لأنّه كان يعرفهم جيّداً، ويدرك انّ النفاق لم يترك في قلوبهم مكاناً لقبول الحقّ ولا يوجد احتمال للاصلاح. ان هذه الملاحظات الأساسية إذا لم تؤخذ بنظر الاعتبار في المباحثات، فإنّ النتيجة تصبح أن يلقى جسد هاني من على سطح دار الخلافة إلى الأرض وتقع عاشوراء.

وتكررت نماذج أُخرى كثيرة في التاريخ الإسلامي.

ان حصيلة المحادثات التي تجرى من دون اذن الإمام ومن دون ملاحظة أجوبة عدة أسئلة، من مع من؟ ولماذا؟ وكيف؟ هي ضياع العزّة الإسلامية والتضحية بالأوفياء للاسلام الأصيل. ويضرب جدار قلب الشخص الّذي يتباحث، بالوساوس التي تنفخ في النفوس خلال المباحثات كي يفتح طريق إلى باطن إيمانه. وهل ان مقترحات الأعداء ووعودهم أمور بسيطة؟ لماذا طلب عمر بن سعد مهلة لمدة ليلة واحدة؟ لقد أدى مكر ابن زياد إلى اضطراب عمر بن سعد. ولو ان عمر بن سعد الّذي كان يدرك ضعفه وكذلك يدرك دهاء ابن زياد وبغضه، أبعد نفسه عن وساوسه، لما حصل اضطراب في نفسه. لقد طلب مهلة لمدة ليلة واحدة لمجادلة

النفس في اختيار الدين أو الدنيا، الحسين أو يزيد! وكانت نتيجة ذلك الحوار وتلك المهلة، قيادة الجيش الّذي ارتكب اعظم فاجعة في التاريخ البشري، ونال اللعن الأبدي من الله والرسل والملائكة والمؤمنين.

ومع من يتم الجلوس على طاولة الحوار، وكيف؟ والحوار حول الحضارات! مع أية حضارة ولإثبات ماذا؟ وباذن من؟ وكيف؟ ومع أي منطق ينسجم مشروع الحوار في ذروة الاجراء والمواجهة من قبل العدو؟ وما هي التجربة التاريخية التي ينطبق عليها فتح باب الحوار إذا كان العدو يتواجد في المنطقة ويقدم الدعم للظلم والنفاق والفساد وعلى أية تجربة تاريخية ينطبق باب فتح الحوار؟ وأي قوم حصلوا على النتيجة المطلوبة في هكذا ظروف؟

ان فتح باب الحوار، هو انتصار للعدو، ويعبّر حوار فتح هذا الباب وترحيب العدو به، عن هذه الحقيقة، بينما لم يحصل شك في عدائه ويفضح الخنجر الملطخ بالدم خلفه، ضحكته الكاذبة. ويتعرض زعماء القوم والخواص دائماً إلى هذه التجربة والعبرة، وعليهم الحذر من المتسللين الّذين يخفون حقيقتهم ويطرحون اخباراً وكلاماً يستهدف دفع القلوب نحو العدو رويداً رويداً، وكيفية معرفتهم، هو اذن الإمام ورضاه. وطرح كلام ذلك من دون اذن ورضا الولي والإمام، يثير الفرقة ويفرح العدو. ويشتت معسكر الصديق، ويبدّل الوحدة التي توجب العزة إلى تفرقة توجب الّذلة، وتجعل معسكر العدو عازماً وجازماً حيث يرى ان انتصاره أصبح قريباً وانّ المنافذ ظهرت.

وكان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، حين يريد إرسال أحد أصحابه إلى المشركين أو في مهام أُخرى، كان يختار الإمام علي "عليه السلام"، وحينما كان يرسل شخصاً آخر كان يعود خالي اليدين، وكان الإمام علي "عليه السلام" يحل العقدة وهكذا كانت منزلة الإمام علي "عليه السلام" تتضح وتتوقف ألسنة المنتقدين المغرضين. ولم يتاجر الإمام علي "عليه السلام" ابداً بايمانه ودين الناس، حتى لو أُعطي جميع العالم. والشخص الّذي يتاجر في الحوار يسقط بالوساوس ويتاجر

ويبيع! كما خدع أبو موسى الأشعري. ولمّا أرسل النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" رسائل إلى زعماء الكفر والشرك في العالم آنذاك، دعاهم إلى الحقّ، أي الإيمان بالله تعالى والإسلام العزيز، كما قام الإمام في هذا العصر بذلك مع رئيس أحد قطبي الشرك. وتضمنت الرسالة اظهار الاستياء من الكفر والتكهن بانهياره والقائه في قمامة التاريخ وانتشار الإسلام في العالم والانتصار القريب للحق على الكفر والشرك، ولا يوجد في رسائل الأنبياء وأولياء الله، كلام يُفرح الكفر والشرك ولا تستشم منها رائحة تأييد جزء من أفكار الكفّار وأفعالهم. ولم تتضمن رسائل الإمام علي "عليه السلام" والإمام الحسن المجتبى "عليه السلام"، إلى معاوية، ذرّة تأييد له، وهي رسائل كتبت إلى شخص يدّعي الإسلام وخلافة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، فكيف الحال فيما لو أرسلت رسائل إلى زعماء غير مسلمين ومشركين وكفار.

انّ الحوار مع الكفر والشرك من دون ملاحظة المبادئ التي ذكرت، هو سراب لا يجني المعتقد به غير الضياع. والأيدي التي يتم ادخالها تحت الماء مفتوحة لا يظل فيها ماء عند اخراجها. انّ القاء جسد هاني من على سطح الخلافة، وتولي عمر بن سعد قيادة جيش يزيد، وذهاب عبيد الله ابن عباس إلى معسكر معاوية وانخداع أبو موسى الأشعري في دومة الجندب[1]... هي تجارب مرّة تُغنينا عن البحث عن تجارب جديدة، والتجارب في هذا اليوم ليست قليلة.

وفشل أشخاص غير قليلين في عالم السياسة كانوا يطمحون إلى تحقيق أهدافهم وكان بعضها جيداً، في طاولة الحوار وخسروا كلّ ما لديهم ولدى شعوبهم. وحينما يكون الحقّ واضحاً وشفافاً، فإنّ طلب الفرصة وفتح باب الحوار، هو وقوع في الفخ، وخاصة ان محور الحق، أي الفقيه العالِم والعادل والمدير والمدبّر والّذي يعرف

(١) اسم مكان جرى فيه الحواريين بين أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص حول خلافة المسلمين وهل الحق مع الإمام علي "عليه السلام" أم مع معاوية!! وقد خدع عمرو بن العاص، أبو موسى.

العدو، حاضر، واشارته هي فصل الخطاب، وطاعته واجبة، والتخلف عنه، يستحق العقوبة الإلهية الشديدة.

"هناك فهم آخر للاسلام، وهو فهم حديث للاسلام، يتم الترويج له اليوم بواسطة بعض المخدوعين أو عملاء الثقافة الغربية، تحت اسم التساهل، فيقولون ان الإسلام دين التساهل.

أجل، يوجد في الإسلام تساهل، بلا شك، ولكن متى؟ وازاء ماذا؟ انهم يتركون مسألة تساهل الإسلام ازاء أي أمر، مبهمة، ويعتقدون بالتساهل المطلق.

وهذا نوع من الفهم. وهذا فهم الّذين لا يرغبون، في الحقيقة، في العمل بأي من الأحكام الإسلامية، ولا يرغبون في العمل بأيّ التزام من الالتزامات الإسلامية. وهم يريدون الانفتاح على العدو، كي يأتي العدو والمخالفين للاسلام ويلغوا من الإسلام ما يريدون ولا يواجهوا برد فعل نتيجة التساهل والنزعة التجديدية"(١).

وبعد ان ذكر قائد الثورة الإسلامية، فهرساً طويلاً لعداء النظام الامريكي لايران والإسلام، قال:

"كيف يمكن على ضوء هذه الحقائق الواضحة، أن يمدّ الشعب والحكومة الايرانية يد الصداقة نحو العدو الّذي يحاول حتى الآن، بقلب مليء بالحقد وشعور مر بهزائمه المتوالية، توجيه ضربة لايران والشعب الايراني، وكيف ينخدع بالضحكة المسمومة للعدو الّذي يحمل اليوم خنجراً مسموماً في يده؟!"(٢).

---

(١) آية الله الخامنئي.

(٢) آية الله الخامنئي.

عاشوراء حصيلة تعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

امتاز الصفّان اللّذان وقفا في كربلاء ليوجدا واقعة عاشوراء في تاريخ البشر، وكان أحدهما في قمّة الشقاء، والآخر في قمّة الطهر، عن أحدهما الآخر، بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنذ أن بدأ الإمام الحسين "عليه السلام" حركته حتى وصل إلى كربلاء، كان يشير دائماً إلى احياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بوصفهما من الأهداف الأساسية لثورته. وكانت عاشوراء، في الحقيقة، نتيجة طبيعية لتعطيل فريضة وسنّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" في الوقوف بوجه المنكرات والحث على المعروف.

ونُفي أبو ذر الّذي اعترض على تلاعب العناصر الحكومية ببيت المال وجمع أشخاص قليلين ثروات حرام، من المدينة إلى الشام ثم من الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى الربذة، كي يسكت الآخرون ولا ينهون عن المنكرات التي كانت تنتشر بسرعة في المجتمع الإسلامي. وكم كان بليغاً وجميلاً ما قاله مولى الموحدين الإمام علي "عليه السلام" عند توديعه أبا ذر:

"يا أبا ذر، انّك غضبت لله، فارج من غضبت له. انّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عمّا منعوك! وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حُسّداً. ولو انّ السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً، ثم اتّقى الله، لجعل الله له منهما مخرجاً! لا يُؤنسنّك إلاّ الحق، ولا يوحشنّك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك، ولو قرضت منها لأمّنوك[1].

ان تعطيل النهي عن المنكر والأمر بالمعروف لم يبدأ في زمان الخليفة عثمان، بل ظهر بعد رحلة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، ورغم الضوء القليل الّذي كان ينير

---

(١) نهج البلاغة، صبحي صالح، خطبة ١٣٠.

الطريق للمجتمع، والّذي كان النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أوقد مصباحه، ورغم انّه كان هناك بعض الأشخاص لم يصمتوا ووضع أحدهم يده على قبضة السيف وقال: نقوّمك إذا انحرفت، ولكن أساس المنكرات كان غصب ولاية المسلمين. وكان غصب فدك منكر آخر لم يُنهى عنه. ووجّهت اهانة إلى الزهراء "عليها السلام" ولم ير الّذي ارتكب الاهانة، شخصاً يعترض عليه. وكانت تلك منكرات أساسية أدّت إلى تغيير وجهة معيار الطهارة الّذي كان النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" أوضحه، وكانت عودة المنفيين من قبل رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، في زمان الخليفة عثمان، منكراً، لم يعترض عليه إلاّ بعض الناس، وأدّى إلى مفاسد ومنكرات لوّثت المجتمع بسرعة، للأسف، وكانت عودة المفسدين وذوي الأعمال والأفكار السيئة والمعاندين للاسلام والسنّة النبوية وسيطرتهم على امكانات المجتمع الإسلامي، منكراً كبيراً كان يجب على الخواص والعوام أن يكونوا حساسين تجاهه، وكان ذلك يستلزم لساناً ناهياً ورأساً لا يخاف وسيفاً حادّاً وتدبير في استخدامها كي يستأصل المنكر.

ولو لم تُعطّل فريضة النهي عن المنكر بتبريرات لا قيمة لها، لما وقع انحراف السقيفة ولما امتد الانحراف إلى حدّ بحيث وقعت حادثة عاشوراء.

ان طبع الفساد هو السراية بسرعة، والنفوس البشرية مستعدة لتقبّله. وتزداد سرعة انتشاره في المجتمع، إذا كانت هناك خطّة لاشاعته وخاصة إذا غفل المسلمون وجذبهم وأرعبهم الاعلام الواسع لتلك الأيادي المعادية.

ويتعرض الجيل الشاب إلى الموجات الاولية والأساسية للفساد، لأن باطنه وظاهره أكثر استعداداً، كما انّه أكثر استعداداً لقبول الهداية والتهذيب.

انّ الجيل الشاب هو مثابة النظام الإسلامي وهذه المثابة هي مطمع هجوم المنكرات المنظمة والمدروسة. كي يُحرم الإسلام من الطاقة الكبرى لدى شبابه ثم يصبح الكنز من نصيب الأعداء من دون مشقّة وعناء.

وقد جعل الله تبارك وتعالى، الحل في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما حضور دائم ورقابة وحساسية عقلانية وصميمية وتذكرة مستمرة على الثبات وتعميق المعروف وازالة المنكرات. والمعروف غير مجهول في الإسلام، والعقول السليمة حتى لدى عامة الناس تعرف المنكرات بسهولة.

ان احياء هذه الفريضة، واجب على أبناء الإسلام والنظام الإسلامي، الّذين تخفق قلوبهم بحب الإسلام والّذين يعتبرون الحدود والمقدّسات والقيم أعزّ من أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم. "بأبي أنت وأُمي ومالي وولدي ونفسي يا أبا عبد الله".

ومتى كان هناك صلح بين المنتقدين والمعاندين والحاقدين من جهة وبين طهر المجتمع وثبات المقدّسات؟! ان اولئك لن يهدأ لهم بال ما لم يسلبوا من الناس دينهم الّذي يمثل وجودهم وعزة دنياهم وراحتهم ورفعة آخرتهم.

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم﴾[1].

انّ المنافقينِ الّذين يدّعون أنّهم يريدون الإصلاح وليس الإفساد، يصرّح القرآن الكريم بأنّهم يريدون الفساد في نسل وحرث المسلمين، وكان الإمام ببصيرته وروحه التي لا تقبل المساومة، يرى ذلك العناد والفكر المنحرف وكان يهتف قائلاً: ما دمت حيّاً لن أسمح للمنافقين أن يسلبوا من هذا الشعب دينه.

ولمّا تحرك الإمام الحسين "عليه السلام" إلى الكوفة ليقود الرجال القلّة الثابتين على قدسية الدين والقرآن وأهل البيت "عليهم السلام"، ضد منتهكي الحدود والفاصلين بين أهل البيت "عليه السلام" وبين القرآن، ويجعل كربلاء مقتلاً لحب الدين والتدين الولائي، وصف انقاذ الإسلام من أيدي المنافقين ذوي القلوب العمياء والحاقدين الأمويين، أساساً لحركته.

---

(١) البقرة: ١٢٠.

وكانت عاشوراء، امتداداً لتيارين ظهرا منذ صدر الإسلام، تيار نفاقي ظهر بعد رحلة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"، وسعى بالتدريج إلى تغيير المجتمع النبوي، وقام بجمع العوام المخدوعين في كربلاء كي يتم تنفيذ خطته في القضاء على أهل البيت عليهم السلام. وتيار تعلّق بصدق وود بالإسلام الأصيل ولم يتخلف عن أمر الله ورسوله.

ولم تكن عاشوراء نهاية المطاف ولا بدايته، بل كانت حصيلة عللها التاريخية ومقطع مشحون بالعبرة لما بعدها.

وكانت عاشوراء في منظار الحسين "عليه السلام" معلولة ترك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وقام هو بكل ما لديه باحيائهما، وكانت الخطب والأراجيز من قبله هو وأصحابه، كلّها نهي عن المنكر وأمر بالمعروف، ولكن العبرة هنا، وهي انّه رغم ان استشهاد الحسين "عليه السلام" وأصحابه وسبي حرمه، أدى إلى فضح المنكرات واظهار المعروف واحيائه، ولكن إذا تلوث الماء من مصدره فيجب توقّع خراب المزرعة. وحينما لا يعمل الخواص بواجبهم أزاء المنكرات، مهما كان التبرير، ويتم استهداف طهارة المجتمع من خلال إشاعة المنكرات بصورة منظمة وتخطيط دقيق من قبل أيادي خفية وظاهرة، فإنّ تأثير النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ينحصر بالثورة والشهادة والسبي وتصبح صحوة الأُمّة والعودة إلى الطهارة مرة أُخرى، صعبة ولا تجبر.

وترسم صحراء كربلاء التي تلونت بلون الدم، والأبدان المقطّعة، ورؤوس أعزاء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، التي حُملت على رؤوس الرماح، والخيام التي أُحرقت والأبدان التي ضربت بالاسواط، والظهر المنحني للإمام السجاد "عليه السلام" وخرابات الشام، والسوط الّذي كانت تضرب به ثنايا الحسين "عليه السلام"، وفرح أهل الكوفة والشام، وإهانة حرم أهل البيت "عليهم السلام" وغيرها، المصيبة العظيمة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويا لها من عبرة قيّمة، إذا كانت هناك قلوب حيّة.

وفي وصيته لمحمد بن الحنفية ذكر الإمام الحسين هدف ثورته فقال:

"أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب".

وحينما تتعرض سيرة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والإمام علي "عليه السلام"، التي هي أساس الهداية الإسلامية والمعرفة الدينية والحكومة الإلهية، إلى البدع والتحريف والتفاسير والتأويلات، يجب أن يثور الإمام الحسين "عليه السلام" ويعيد أركان الهداية إلى مكانها.

وكتب الإمام الحسين "عليه السلام" رسالة إلى أهل البصرة، أكّد فيها على هذه المسألة وقال:

"... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه "صلى الله عليه وآله وسلم"، فإنّ السنّة قد أُميتت وإنّ البدعة قد أُحييت".

وبعد وصول الإمام الحسين "عليه السلام" إلى كربلاء، رسم في أول خطبة له، وضع المجتمع وانحرافاته، وحدّد واجبه في هكذا وضع وتكليف اتباعه في حالة تكرر واقعة كربلاء، وقال:

"انّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وانّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء ولم تبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً".

وهكذا تتغير أوضاع الزمان. ولو أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تكن عُطّلت بتبريرات الخواص التي لا أساس لها، لما افتقد المجتمع إلى الفضائل ولما ظهرت واتسعت الرذائل. وكانت الفترة الزمنية بين رحلة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وبين واقعة كربلاء، خمسين سنة، سار خلالها المجتمع نحو التغيير رويداً، وفي يوم عاشوراء أصبح ابن النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" محاصراً من

قبل الأراذل لمحو القطرات المتبقية في وعاء الماء، في يوم عاشوراء الذي كان شديد الحرارة.

"ان الاستغراق في الشهوات، وفقدان روح التقوى والتضحية، يُفسدان مجتمعنا. ويجب أن يكون الشخص التعبوي في وسط الساحة كي تبقى الفضائل الأساسية للثورة، حيّة، ويسعى العدو إلى انتزاع شبابنا من أيدينا عن طريق اشاعة الفساد والفحشاء. ان ما يقوم به العدو في المجال الثقافي، ليس مجرد هجوم ثقافي بل يجب القول انّه غزو ونهب ثقافي.

واليوم يقوم العدو بهذا العمل ضدنا. من يتمكن من الدفاع عن هذه الفضائل؟ انّه الشاب المؤمن الّذي لم يتعلّق بالدنيا والمصالح الشخصية. وهو يتمكن من الثبات والدفاع عن الفضائل. ويجب أن يقوم الجميع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي اليوم مسؤوليتكم الشرعية وكذلك مسؤوليتكم الثورية والسياسية. ويجب أن تكونوا أيّها الشباب، في الساحة دائماً. ويجب أن تثبتوا بصورة دائمة انّ الجمهورية الإسلامية قوية. ويجب أن تعمل القوى المؤمنة وقوات التعبئة وقوى حزب الله في أنحاء البلاد وجميع المؤمنين في هذه البلاد، بالشكل الّذي يؤدي إلى يأس أمريكا والصهاينة وبقية القوى المعادية من الجمهورية الإسلامية"[1].

(١) آية الله الخامنئي.

عاشوراء، حصيلة انتشار الفساد والذنوب

وعدم الإلتزام في المجتمع وضعف الإيمان

قيل ان بلعم بن باعورا الّذي كان رجلاً عالماً ومستجاب الدعوة، أراد نتيجة تحريض عناصر فرعون، أن يدعو على موسى "عليه السلام" وأصحابه، رغم معرفته بحقانية موسى "عليه السلام"، وبطلان فرعون. وعندما لم يتمكن من ذلك، ولم يستجب الله تعالى دعاءه، قال لأتباع فرعون بأن يأتوا بفتيات جميلات ثم يقوموا بتزيينهن وارسالهن إلى جيش موسى "عليه السلام" وقومه، وحينما ينتشر الفساد، يفقد موسى "عليه السلام" القدرة على الثبات والمواجهة.

وورد في التاريخ انّ الصليبيين حين يئسوا من السيطرة على الأندلس ووجدوا المدافعين المسلمين فيها والشباب المؤمن يقفون كالجبل أمام هجماتهم، فانتهجوا أسلوب بلعم بن باعورا فبدأوا هجوماً واسعاً على إيمان الشباب. وجلبوا الخمر بكثرة وقاموا بتوزيعه مجاناً واستخدموا فتيات نصرانيات لخداع الشباب المسلم، ولم يمض وقت طويل حتى فتحوا الأندلس من دون حاجة إلى الحرب وأغلقوا بوابة المسلمين إلى أوربا.

وهذه نماذج مشهورة للقصة، ولا شك ان هناك موارد كثيرة في مجال استخدام طريقة نشر الفساد لاضعاف إيمان المدافعين عن الحق وفي المعايير الحالية، فإنّ أمثال بلعم بن باعورا هم أهل التشخيص وأهل العلم والمعرفة وأهل القلم والفكر الّذين يعرفون الحق والباطل ولكنهم اما مرعوبين أو مجذوبين، والنتيجة واحدة وهي إعانة الباطل والخداع والازدواجية من أجل وصول الظالمين والمستكبرين إلى السلطة والثروة.

انّ الفساد والمعصية يمكن أن ينتشرا في أي مجال. فهناك فساد إداري وفساد مالي وفساد سياسي، ولكن إزالة الحدود بين الرجال والنساء والفساد الجنسي أساس جميع أنواع الفساد ويصب أكثر من غيره في صالح العدو، وقد أكّد على ذلك بعلم

بن باعورا في ذلك الزمان وأمثال بلعم في هذا العصر. ولهذا يستهدف الحجاب وتتعرض الحدود بين المرأة والرجل إلى هجوم. ويقوم العدو بغزو ثقافي واسع على كلّ ما يقوى الإيمان الديني كي يضعف وتهتز الأركان القوية لايمان المجتمع ويقطّع اطار الإيمان بواسطة الفساد عندما تولى عثمان بن عفّان الخلافة، عاد زعماء بني امية من المنفى إلى حكم الأقاليم وقاموا باشاعة الاباحية ولم يتمكن شخص من الاعتراض على أقرباء الخليفة. وحين استدعي الوليد إلى المدينة بعد أن شرب الخمر، لم يكن هناك شخص مستعد لاجراء الحكم الإلهي ومسك سوط العقوبة لضرب بدن ذلك الفاسد المفسد. فأخذ الإمام علي "عليه السلام" السوط وقام بإجراء الحدّ، وحينما قتل ابن عمر ابنة فيروز بعد موت أبيه، لم يلاحق من قبل الخليفة لأنّه ابن الخليفة الثاني، ولكن عبيد الله ابن عمر اختفى عندما سمع بغضب الإمام علي "عليه السلام" وتأكيده على القصاص، والتحق بمعاوية حين رفع راية العصيان، لماذا كان الإمام علي "عليه السلام" يصرّ على اجراء الحدود الإلهية؟ ولماذا قطع أصابع أحد الموالين له حينما ارتكب معصية وسرق من بيت المال؟ لأن تعطيل حكم الله يعني انتشار الفساد وشيوع الذنوب وضعف إيمان المجتمع، وهكذا مجتمع هو مجتمع جاهلي وان كان يحمل اسم الإسلام، وهو مجتمع مظلم وان سُمّي مجتمع متحضر.

وفي خلال فترة حكمه القصيرة، كان الإمام علي "عليه السلام" يتجول في سوق الكوفة حاملاً سوطاً بيده كي لا يظلم شخص شخصاً. انّ المجتمع الإسلامي ووالية لا يتحملون أقل فساد ويصرون على اجراء الحدود الإلهية.

وفي حرب صفّين، عرض شيخ على الإمام علي "عليه السلام" أن يعود إلى العراق ويكون أمير العراق ويعود جيش معاوية إلى الشام وتكون الشام له ولا يتعرض أي منهما للآخر كي لا يراق دم مسلم، فقال الإمام "عليه السلام":

"لقد عرفت، انّما عرضت هذا نصيحة وشفقة. ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينيه، فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد "صلى الله

عليه وآله وسلم". ان الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الاغلال في جهنّم"(١).

وحين ينتشر الفساد والفحشاء يرفع رأس الحسين "عليه السلام" وأصحابه على رؤوس الرماح ويطاف بالنساء وأطفالهن على الابل في الأزقة والأسواق. ومن يستعد للدفاع عن كيان الإسلام المحمدي الأصيل حينما يشرب الخمر في دار الخلافة ويتلاعب ببيت المال؟ وهل يتمكن من تلوث بالشهوة من التضحية بالنفس في سبيل الله؟

ان حدود الله، هي من أجل إزالة الادغال كي لا تتعرض الحياة الطيبة للناس إلى الخطر، وعندما يتم تجاوز هذه الحدود لا تبقى حياة الناس. ان سياسة تسامح عثمان وتساهله، أدّت إلى تسلط أهل المعاصي وذوي السابقة السيئة على نفوس وأموال الناس، وقام معاوية ومروان وعمرو بن العاص ويزيد والمستشارون النصارى واليهود في القصر الأخضر في دمشق بايقاع الناس في أسر الأموال والشهوات والامارة، ولم يسمحوا بملاحقة الفسّاق والفجّار. فقد كان ولاتهم من اولئك، وسُجن المؤمنون على أبسط اعتراض وقطعت ألسنتهم أو رقابهم بتهمة أنّهم مخالفون للخليفة!!

وهاجمهم أصحاب الأقلام لأنهم يسيئون التعريف بالإسلام!!

ألم يقدّم معاوية ويزيد تبريراً لنشر الفساد وتعطيل حدود الله؟ ألم يذكرا أدلّة؟ ألم يرسلوا ذوي الألسن اللبقة والأقلام وفئات لنشر الأكاذيب وتكذيب الحقائق؟ ألم يظهرا إسلامهما وكأنّه إسلام الرحمة وغض الطرف والمداراة؟ ألم تنتشر المعاصي والفساد في ظل ذلك الإسلام؟

---

(١) وقعة صفين، صفحة ٤٧٤.

وتوضح اشارة الإمام الحسين "عليه السلام" في كربلاء إلى الأكل الحرام الّذي اثّر في باطن أولئك الناس الاذلاّء المرتزقة الّذين باعوا دينهم، إلى درجة بحيث أغلفت آذانهم عن سماع الحق، ماذا فعل الفساد والمعصية في إيمان الصف المقابل وما هو المصير المشؤوم الّذي ينتظر المجتمع إذا لم يظهر خواص الناس وعامتهم الحساسية اللازمة إزاء انتهاك حدود الله، وانتشار الفساد والشهوات والمعصية؟ ومن يدافع عن حدود الله والعقيدة المساوية حين تزول الحمية والغيرة والحساسية الدينية نتيجة المعاصي؟ وعندما دعا الوليد بن عتبة والي المدينة، الإمام الحسين "عليه السلام" إلى بيعة يزيد، قال الإمام الحسين "عليه السلام":

"... ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله".

وفي البيضة خطب أصحاب الحرّ، فقال بعد الحمد لله والثناء عليه: أيّها النّاس، انّ رسول الله قال: من رآى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألاّ وان هؤلاء قد لزموا الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق ممن غيرّ".

إن الإسلام يتقدم بالإيمان الخالص. وتطاع الولاية والقيادة من قبل ذوي النفوس الطاهرة والضمائر الحية والقلوب البصيرة. ويقول أهل المعاصي والفساد والفحشاء والأعمال السيئة بتحريف الإسلام وأبعاد قيادته أو قتلها، ويصر العدو الّذي لا يريد غير هذا باشاعة الفساد والمعاصي في المجتمع الإسلامي ويختار الطرق ويبحث عن عناصر في داخل المجتمع ويدعمها كي يصل إلى ذلك الهدف. ويستهدف الشباب الّذين يمثلون عقبة جيش الإسلام، والمسؤولون عن إدارة نظام الحكم الديني في المستقبل غير البعيد، أكثر من سائر الشرائح ويقعون في الخط الأول لهجوم الفساد والإباحية والابتذال.

لقد رأى العدو، جيش محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" في حرب السنوات الثمان، ورأى عمليات كربلاء وبدر ورمضان والفجر، وشاهد مقاومة الأحرار في سجون البعث، ورأى توديع أمهات وآباء وزوجات المقاتلين لهم، ورأى الجهود المستمرة لأبطال ساحات الإعمار والبناء ومجهوليتهم ويقظة وإيثار جنود الأمن المجهولين والمستضعفين والمخلصين الّذين سجّلوا أسماءهم في دفتر المعرفة الإلهية، أي قوات التعبئة، وأغلبهم من الفتية والشباب، وقرر أن يوجه لهم ضربة جرثومية، وأية جرثومية أكثر تأثيراً من الفساد والمعصية؟ وأي غاز أسرع انتشاراً وأكثر تأثيراً في الإصابة بالشلل من الفحشاء والمنكر؟ وفي هذه الضربة يتخلى الفتية والشباب، عن القمم التي تمت السيطرة عليها في الجهاد الأصغر والأكبر، واحدة تلو الأخرى، ويتقدم العدو موضعاً فموضعاً حتّى يسيطر على عاصمة وجودهم، أي قلوبهم وإيمانهم ويفرض نفسه عليهم.

لقد رفع رأس الحسين "عليه السلام" على رؤوس رماح المعاصي، وقتل أصحابه الأوفياء والمظلومين بسيوف الفساد، وسبيت نساؤهم وأولادهم من قبل الّذين انتهكوا حرمة حلال الله وحرامه، واحتفل أهل المعاصي باستشهاد الحسين "عليه السلام" وسبي أهل بيته. وهذه عبرة أخرى من عبر عاشوراء لمن يعتبر، وسؤال يطرح عليهم وعلى الخواص وهو إلى متى التفكير الساذج؟

"والآن أوصي مجلس الشورى الإسلامي في الوقت الراهن والمستقبل، ورئيس الجمهورية الحالي ورؤساء الجمهورية فيما بعد، ومجلس صيانة الدستور ومجلس القضاء والحكومة في كلّ زمان أن لا يدعو الأجهزة الخبرية والصحافة والمجلات تنحرف عن الإسلام ومصالح البلاد. ويجب أن نعلم جميعاً انّ الحرية بشكلها الغربي والتي توجب فساد الشباب والبنات والبنين، مرفوضة بنظر الإسلام والعقل. ويحرم الإعلام والمقالات والخطب والكتب والمجلات التي تكون خلافاً للإسلام والعفة العامة ومصالح البلاد، ويجب علينا جميعاً وجميع المسلمين الحيلولة دونها، ويجب الحيلولة دون الحريات الهدامة. وفي حالة عدم الحيلولة بحزم دون الأعمال المحرمة

بنظر الشرع والأعمال التي تكون خلافاً لمسير الشعب والدولة الإسلامية ومخالفة اعتبار الجمهورية الإسلامية، فإنّ الجميع مسؤولون. وإذا رأى الناس والشباب من حزب الله، أحد الأمور المذكورة، فعليهم الرجوع إلى الأجهزة ذات العلاقة، وإذا قصّرت فإنّهم مكلفون بالمنع"(١).

"ان مثابتنا في المواجهة بين الشعب الإيراني ضد عنجهية الاستكبار العالمي، تتمثّل في ثقافتنا. ومنطقة مثابتنا تتمثّل في الأخلاق الإسلامية والتوكّل على الله والإيمان بالإسلام وحبه. وتقول إحدى الأمهات التي استشهد ابناؤها الأربعة إنني قدّمتهم من أجل الإسلام، وهي راضية باستشهادهم.. وقد رأى العدو هذه الأمور وحلّلها، وأدرك أن لهذا الشعب مثابة، وما دامت هذه المثابة موجودة فإنّه لا يمكن إخضاع هذا الشعب بالحصار الاقتصادي والعسكري وأمور أخرى. وبدأ بضرب تلك المثابة والسعي للقضاء على ثقافة الشعب وأخلاقه وإيمانه وإيثاره وإيمانه بالدين وإيمانه بالقيادة وإيمانه بالقرآن والجهاد والشهادة... فمن أساليبهم الغزو الثقافي انّهم يسعون إلى ابعاد المؤمن عن التزاماته بالإيمان الّذي يحافظ على الحضارة. وقد قاموا بذلك العمل في الأندلس في القرون الماضية حيث نشروا الفساد وحب الشهوة في أوساط الشباب، وتجري مثل هذه الأعمال حالياً.

قال أحدهم لآخر: ماذا تفعل؟ قال: أطبّل، قال: لماذا لا أسمع صوت الطبل، قال: ستسمع صوته غداً! إذا لم يكن أبناء الشعب والعناصر المثقفة يقظين، فإنّ صوت انهيار القيم المعنوية الناجم عن الهجوم الخفي والمدروس للعدو يسمع في وقت لا ينفع فيه العلاج لا سمح الله، ماذا علينا أن نفعل إذا حاصروا أحد شبابنا المؤمنين عن طريق إعطائه جهاز فيديو في البداية، ثم أعطوه جهازاً لمشاهدة أفلام جنسية وقحة وأثاروا شهواته ثم أخذوه إلى عدة مجالس؟ انّه ليس من الصعب أن يتمكن شخص

---

(١) سماحة الإمام الخميني "قدس سره الشريف"، الوصية السياسية ـ الإلهية.

من افساد شاب في ذروة طاقة الشباب خاصة إذا كانت لدى المفسدين تـشكيلات. ويقوم العدو حالياً بهذا العمل"[1].

(١) آية الله الخامنئي.

عاشوراء، نتيجة ظهور ونمو دوافع مختلفة في صف المسلمين

كان لكربلاء دور آخر. ولم يرسم هذا الدور في يوم واحد في كربلاء، بل تبلورت صورة هذا الدور في التاريخ الإسلامي منذ أن هتف النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بنداء التوحيد، ودعا الناس، بإذن الله، إلى الإسلام، وبلغ مرحلته النهائية في كربلاء.

ونشاهد تجربتين في فترة حكم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في المدينة والتي استمرت عشر سنوات، أحدهما تجمع أشخاص وفئات بدوافع مختلفة في المواجهة ضد الإسلام وكان نموذجها البارز في معركة الأحزاب ولهذا السبب سمّيت هذه المعركة معركة الأحزاب حيث اجتمعت كلّ عناصر وأحزاب، الشرك للقضاء على الإسلام النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" ووقعت معركة بين الكفر كلّه مع الإسلام كلّه. وتجربة أخرى، كانت في انتصار الإسلام وإقامة نظام الحكومة النبوية، حيث دخل في دائرة الإسلام أفراد بدوافع مختلفة وآمنوا على الظاهر بالنبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، وهو إيمان كان يجب أن تظهر طبيعته في ساحات الاختبار. وبعد فتح مكة دخل أبو سفيان وطائفته في الإسلام بعد أن لم يئلوا جهداً في العداوة للإسلام والنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والمؤمنين، ودخل في دائرة الإسلام كثير من الناس بنوايا ودوافع غير خالصة وبقوا يترصدون لاستغلال الفرص التي تحصل نتيجة الغفلة والتهاون وتحقق أمنياتهم باسم الإسلام. ولعل تعبير "منافق" كان أوضح تعبير أطلقه الله تبارك وتعالى على هذه الفئة. وللنفاق درجات كما أن للظلمات درجات، وقد زرع بأرق وأخطر أشكاله في الأراضي الإسلامية لسنين طويلة لينمو في الفرصة المناسبة.

وعندما فصل بين العترة والولاية وبين القرآن، وجعل غاصبوا الغدير الخلافة خرقة على هياكلهم، تهيأت الفرصة لنمو بذور النفاق وظهرت النفوس غير المهذبة

والدوافع غير الإلهية من كلّ جهة. إن ما شوهد بعد رحلة النبي الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم"، كانت تجربة ثانية، لأن الإسلام انتصر في المواجهة ضد الكفر والشرك، والخطر الّذي كان يواجه النظام الديني كان يتمثل في الإيمان غير الخالص الّذي يبيعه أصحابه بقيمة زهيدة في ساحات الاختبار الصعب، طمعاً في الشهرة والمال. وبعد رحلة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" يتغربل المسلمون في غربال اختيارات الله ويسقط الجميع إلاّ قليل!!

وواجه الإسلام في محاربة الأعداء في الخارج ، جبهة متحدة من دوافع مختلفة اجتمعت للقضاء على الإسلام. وواجه في الداخل أفراداً وأحزاباً وفئات اجتمعوا في الإسلام بعقائد مختلفة وهؤلاء يشكّلون خطراً على الإسلام، وليست تلك، لأن الأعداء يتحدون ويتفقون في بغض دين الله والحكومة الدينية، لغرض الحصول على منافع مشتركة، وإذا لم تنفذ هذه الجبهة المتحدة إلى داخل الدولة الإسلامية وإيمان الناس، فإنها لا تنجح. وتقوم النفوس غير المهذبة بافتعال وقائع تؤدي إلى نمو بذور الفرقة في الأمة الإسلامية. وتذهب الطبائع المختلفة التي اجتمعت حول الإسلام لصلحة، متفرقة كل واحد إلى جهة ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾. ولم يقم معاوية وعمرو بن العاص إلاّ باستقطاب أصحاب الدوافع الملوثة والمستعدة وأصبحت الأمة الإسلامية نصفين، نصف التفت حول الإمام علي "عليه السلام"، والنصف الآخر التف حولهما. وتشتت النصف الّذي التف حول الإمام علي "عليه السلام" في اختبار الجمل وصفّين والنهروان، وما بقي في غربال الفترة الزمنية القصيرة لحكم الإمام علي "عليه السلام"، سقط في فترة الإمام الحسن المجتبى "عليه السلام"، ووصل العدد في عاشوراء إلى ٧٢ شخص بقوا على بيعتهم وأظهروا للعالم إيمانهم الخالص ويقينهم المثير للعجب، في الرؤوس المقطوعة والمرفوعة على رؤوس الرماح.

وفي كربلاء نلاحظ حصيلة جميع الدوافع المختلفة في الصف المقابل.

والإخلاص كان وجه تمايز بين صف الحسين "عليه السلام" وأصحابه وبين الصف المقابل. فهؤلاء اجتمعوا من أجل رضا الله وإجراء حدوده وكانوا يقبلون

بالقتل ولا يقبلون بالذلة. والتف ذلك الصف حول عمر بن سعد كي يفقد ما تبقى من إيمانه في كربلاء، رغبة في الأموال التي وعد بها يزيد ووالیه الفاسق ابن زياد، أو خوفاً على نفوسهم. وكان آباؤهم يذهبون إلى المعارك في زمان النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" بدافع جمع الغنائم، وفي زمان الإمام علي "عليه السلام" باعوا دينهم بدارهم ودنانير معاوية. وجاء البعض إلى كربلاء بدافع الثأر لآبائهم وإخوانهم الّذين قتلوا في ساحات الجهاد على يد الإمام علي "عليه السلام" والمؤمنين. وجاءت فئة بدافع الدرهم والدينار والنهب والغنائم. وفئة أخرى كانت تريد الوصول إلى منصب وإمارة. وجاء بعض وراء زعيمهم عملاً بالعادة القبلية الجاهلية. وجاء بعض لم يروا عهد النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والإمام علي "عليه السلام" وقد انخدعوا بالشبهات التي أثارها مرتزقة دمشق، لنصرة الخليفة والقضاء على العدو الخارجي! وجاءت فئة ضالة سلّمت ازمّتها إلى الشياطين، بنيّة الأجر والثواب الإلهي!! ويا له من صف عجيب وغريب؟ لقد ظهر العناد والنفاق والطمع والجهل والتحجّر والسذاجة والحماقة والغفلة والعصبية من داخل المسلمين ووقفت في وصف واحد في كربلاء تريد قتل ابن رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ونهب ماله وسبي حرمه.

إلى أين يحمل العالم الإسلامي هذا الألم، حيث يلحق بنفسه الأضرار دائماً، وكانت كربلاء ذروة هذه الخسارة؟ وأين يهتف العالم الإسلامي بهذا الهتاف وهو أن كلّ ما تعرض له حرم النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"، كان بأيدي أناس مسلمين؟ مسلمون لم يقوموا بتقوية إيمانهم بالطاعة. مسلمون لم تصقل أعمالهم بالإخلاص. مسلمون لم يشخصوا العدو. مسلمون كانت مواقفهم تتغير بصرّة ذهب أو حكم أقليم أو تفسير ملوث. مسلمون كانوا يعاملون الأعداء برأفة، والأصدقاء بشدّة.

لقد عانى العالم الإسلامي دائماً من النفوس غير المهذّبة. وفي كربلاء اتحد جميع ذوي الدوافع المختلفة في قتل الحسين "عليه السلام" كي يسببوا أعظم مصيبة لأهل الدنيا وأهل السماوات.

وأي عبرة أوضح من هذه العبرة؟! "فأين تذهبون؟"

ورغم إن دائرة الإسلام واسعة، والدوافع مختلفة، ولكن إذا كان اختلاف الّذين يتولون زمام تدبير شؤون الأمّة، وانحرافهم، لا سمح الله، عن قطب الهداية الإسلامية، أي الولاية، ولو بمقدار ذرّة فإنّه يؤدي إلى شقاق في الأمة وتتهيأ أرضية للدوافع السيئة. أن معرفة هذه المسألة يدفع مسؤولي النظام إلى الدقة في الكلام والفكر والطريق وتطبيقها على سيرة الإمام والقائد كي لا تحصل مثل تلك الأرضية. وإضافة إلى ذلك، فإنّ إيمان الفئات والأفراد يثبت أو يذوب في دوران الزمان والاختبارات الإلهية. والسوابق محترمة ولكن في دائرة الإخلاص واستمرار الطريق واستقامة الإيمان. ويقوم الّذين يضعف إيمانهم في بوتقة الاختبار بممارسة عشرات الخدع كي يحصلوا على أسهم في ظل السوابق ويمسكون بالسلطة، وعلى مسؤولي النظام أن يميزوا بين الذهب والنحاس ويسدوا الطريق على هكذا غرباء. وما هو محك الذهب؟ إنّه سيرة النبي والوحي الإلهي. وعترة النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" والولاية العلوية. ولو كان هذا المحك استخدم، لما أبعد الإمام علي "عليه السلام" من منصب الولاية وحرمت الخلائق من العدالة والهداية العلوية؟ ومحك الذهب هي ولاية الفقيه التي هي استمرار طريق الأنبياء وأئمّة الهدى "عليه السلام"، ومحك الذهب هي سيرة الإمام الراحل العظيم التي أطلع الناس على زبدتها في وصيته السياسية الإلهية. ولا ينحصر الاختبار بالمسؤولين، فالناس يقومون بالاختبار ويجب أن يقوموا به بواسطة هذه الوصفة التي فيها العلاج والسعادة وكذلك توجيهات خلفه الصالح. ويعيدوا تقييم الفئات ويتعرفوا على الدوافع المختلفة خلف السوابق والشخصيات والأبواق ويعملوا بالشكل الّذي يؤدي إلى عدم تكرار واقعة كربلاء.

وفي غصب الغدير كان المحك قد تغير. وتمكن ذوو الدوافع المختلفة من المجيء إلى السلطة والحكم نتيجة عدم العمل على أساس المحك الإلهي، وسعوا إلى إطفاء مصباح الهدى.

لقد شاء الله تعالى، المحافظة على الهداية واستمرارها ووجود الإمـام المعـصوم وحضوره، ولهم يجن أولئك غير عنائهم وحرمانهم، ولكنهم قـاموا بفاجعـة عظيمـة أدت إلى فقدان إمام معصوم وتلطيخ الطريق بالدم سنين طويلة بوجه المشتاقين إلى الهداية. إن قتل الشيعة، مرارة عظيمة ووصمة عار في وجه التاريخ. وقد بلغ الـذروة بعد استشهاد الإمام الحسين بن علي "عليه السلام" وتألمت روح كلّ إنسان من تلك القساوة والبغض والعداوة.

لقد كانت عاشوراء مقتل للإخـلاص والاسـتقامة والوفـاء فـي العقيـدة والفكـر الخالص.

وكانت عاشوراء مواجهة بين الثابتين على الإيمـان، وبـين المذبـذبين الّـذين لا إسلامهم هو الإسلام ولا إيمانهم، إيمان حقيقي.

وكانت عاشوراء تجلّي ظهور دوافع مختلفة واتحادهـا ضـد الإسـلام الخـالص وقيادته. وفي عاشوراء قام كلّ من كان ذات يوم في صف المـسلمين ولكنـه كـان يسعى وحتى يجاهد بدوافع غير خالصة، بتغيير مسيره ووضع يده في يد شخص زان وشارب للخمر مثل يزيد، وقد هيأ أرضية ذلك، الّذين وضعوا الولاية جانباً.

"اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك".

وقال الإمام علي "عليه السلام" في ذم أصحابه غير الأوفياء الّـذين ابتعـدوا عـن الحق والولاية وساروا في وادي الضلالة:

"فيا عجباً! ومالي من خطأ هذه الفرق على اختلاف حجمها في دينها! لا يقتصّون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب، يعملـون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم مـا أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات علـى آرائهـم،

كأن كلّ امرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منهـا فيمـا يـرى بعـرى ثقـات، وأسـباب محكمات"(١).

وفي هذه البرهة من الزمان:

"لا يزال كلام الإمام يرن في أجواء الوطن الإسلامي. وتعتبر وصيته ميثاقـاً دائمـاً بين الإمام والأمّة، وبناء على هذا يجب أن يفهم أبناء المجتمع كلمات الإمام بصورة صحيحة ويتدبروا فيها كي لا يخطأوا في معرفة نهج الإمام. وفي هذا الصدد هنـاك من يتحدث عن الإمام ولكنه غير مستعد لقبول فكر الإمام ونهجه، ولا شك أن هكذا أفراد هم على خطأ"(٢).

حسن الختام

المناجاة الأخيرة للإمام الحسين بن علي "عليه السلام".

"اللّهمّ متعالى المكان عظيم الجبروت شديد المحال غنيّ عـن الخلائـق عـريض الكبرياء قادر على ما تشاء قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمـة حـسن الـبلاء قريب إذا دعيت محيط بما خلقت قابل التوبة لمن تاب إليك قادر علـى مـا أردت تدرك ما طلبت شكور إذا شكرت ذكور إذا ذكرت أدعوك محتاجاً وأرغـب إلـيكم فقيراً وأفزع إليك خائفاً وأبكي مكروباً وأستعين بك ضعيفاً وأتوكّل علـيكم كافيـاً. اللّهم أحكم بيننا وبين قومنا فإنّهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونـا ونحـن عتـرة نبيّك وولد حبيبك محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" الّذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين.

... صبراً على قضائك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين مالي ربّ سـواك ولا معبود غيرك صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له يا دائماً لا نفاد لـه يـا

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، خطبة ٨٧.

(٢) آية الله الخامنئي.

محيي الموتى يا قائماً على كل نفس بما كسبت احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين.

ثم وضع وجهه على التراب وقال:

"بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم""[1].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) اللهوف: ١١٠.

محتويات الكتاب

المقدّمة: كُلّ يوم عاشوراء وكُلّ أرضٍ كربلاء ١
عاشوراء، مواجهة بين الفكر والعمل الأصيل وبين القلوب..... ٣
عاشوراء، تجلّي المواجهة بين فكرين للدّين ٧
عاشوراء، مجابهة بين رؤيتين للقيادة ١١
عاشوراء، نتيجة مماطلة الخواص، وانعزالهم وخوفهم..... ١٣
عاشوراء، مواجهة بين الساقطين من قمة الجهاد الرفيعة..... ١٦
عاشوراء ثمرة الشبهات التي زرعها..... ٢٠
المتدينون الجاهلون في أرض الإيمان..... ٢٠
عاشوراء، حصيلة فصل الدين عن السياسة وحكم ٢٤
الدنيويّة للأمّة ٢٤
عاشوراء، اصطفاف من جذبتهم ملذات الدنيا أمام طلاب الآخرة..... ٢٧
عاشوراء، مواجهة بين طلاب الامتياز من المجاهدين ٣١
عاشوراء، تجلّي عودة القاعدين بالأمس وعدم الأكفّاء حالياً إلى الحكم ٣٥
كربلاء، مكان اجتمع فيه الّذين نقضوا بيعتهم للإمام ٣٨
عاشوراء ساحة اختبار الخواص والعوام..... ٤٠
عاشوراء صوت رفيع القدسية وانتهاك الحرمة..... ٤٣
عاشوراء، نتيجة ضعف التبعية للقائد الذي اختاره الله..... ٥١
عاشوراء مظهر للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٦٢
عاشوراء، حصيلة الضعف في معرفة العدو والغفلة عنها..... ٧٠
عاشوراء، حصيلة عدم التحليل الصحيح والغفلة..... ٨١
عاشوراء حصيلة الأجواء المسمومة والاعلام المذموم..... ٨٨
عاشوراء، حصيلة الحوار مع الخبيثين والمعاندين والأعداء..... ٩٦

عاشوراء حصيلة تعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠١
عاشوراء، حصيلة انتشار الفساد والذنوب وعدم الإلتزام..... ١٠٧
عاشوراء، نتيجة ظهور ونمو دوافع مختلفة في صف المسلمين..... ١١٤
حسن الختام..... ١١٩
محتويات الكتاب..... ١٢١